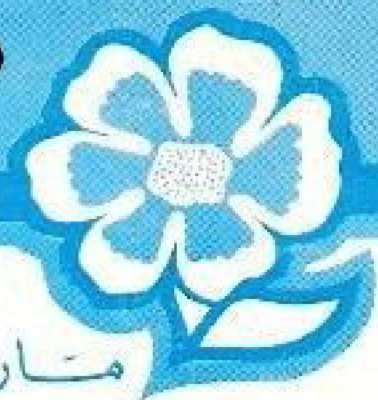
روايات عبير

REMA



ماري ويبرلي

كوخة قرب قصرنا

١٤٣

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 143

كوخه قرب قصرنا

REMA

يقول المثل: يوم لك ويوم عليك. هولي فتاة ترعرعت في كنف والدها الثري، فأحاطت بها السعادة من كل جانب. بين ليلة وضحاها خسر والدها ثروته وتوفي أثر الصدمة التي المت به، ثم لم تلبث والدتها ان تبعته تاركة هولي تواجه الأيام السوداء....

لجأت الى عمتها وأقامت معها في بيتها الريفي وعاشت عيشة بسيطة لم يعكرها سوى وجود غاريت الذي يستأجر الكوخ المجاور ويقضي أيامه بمساعدة العمة في تربية حيواناتها.

هولي كرهته منذ اللحظة الأولى وداعب الشك أوتار قلبها حول هويته... لكنه استطاع ان يدخل الى عالمها ويحطم اسوارها ببساطته. وفجأة تعلم بأنه ابن المليونير نيفين غرين الذي تسبب في خسارة والدها، اتهمته هولي بقتل والديها فحطمت قلب غاريت... وللعمة دورها في كشف سر قديم أغرق هولي في بحر من الندم.

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية
BELOVED ENEMY

المراسلات
Harlequin (Cyprus) Ltd.
29 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 612, Greece

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd, Bungay, Suffolk

١ - الجار الغجري

فرحتي عظيمة بمجيئك يا عزيزتي. قالت العمة مارغريت. ولك ان تمكثي عندي قدر ما تشائين. ارتسمت ابتسامة الحنان على ثغر هولي وقالت:

ـ احب كثيراً هذا المكان، وأشعر بأنه منزلي، خاصة بعد موت أمي.

غص صوتها، ونظرت من النافذة الى المطر الذي بدأ ينهمر بعد نزولها من القطار عند محطة ستراثمور.

ـ اعلم يا ابنتي، ليس الأمر سهلاً. ووالدتك، رحمها الله، لا ترضى ببقائك حزينة بعد اليوم. عليك ان تعيشي معي قدر ما يحلو لك. وشكراً للعناية التي دفعتني الى ان اتصل بك هاتفياً في الوقت

المناسب.

وتذكرت هولي المكالمة الهاتفية التي كادت الا تجيب عليها بعد ظهر البارحة، بسبب ارهاقها. لكنها حين سمعت صوت العمة مارغريت تلاشت كل همومها، لما ابدته العمة من لطف وحنان. واخبرتها كيف فصلت البارحة من عملها بعد ان صدت مراراً ابن مدير الشركة، وكيف خرجت من المكتب وهي تسمع من يقول: لا تكلفي نفسك بالعودة يا آنسة تمبلتون.

اجابت:

- انت لم تخبرني بحاجتي الى حزام اسود في الجيدو كي اعمل هنا. بامكانك ارسال بطاقاتي بالبريد.

ثم اغلقت الباب تاركة السيدان اندروز وساندي يجمعان بقايا الاناء المكسور. وسرعان ما تبدد شعورها بالارتياح. فما ان وصلت الى المنزل حتى اخذت تبكي، اذ شعرت بالوحشة من جديد. فقد ماتت والدتها منذ خمسة اشهر وبيع المنزل ومعظم الأثاث، وسوف تنتقل يوم الاثنين الى شقة اخرى مع صديقتين لها هما جين وساره وربما تعرف الآن معنى الاستقرار بعد ان تنقلت مراراً في المدة الاخيرة.

- كيف يمكن لأي انسان ان يكون غبياً بهذا المقدار!

قالت العمة مارغريت هذا الكلام وهي تجتاز شاحنة كادت تلامسها، مما جعل النوافذ الزجاجية تمتلىء بالوحول. فاضطربت هولي واغمضت عينيها جزعاً. فقيادة العمة مارغريت للسيارة تثير انتباه سائر السائقين كما تثير الاعصاب وتزعج رفاق الرحلة. وبعد لحظات سألت هولي متجاهلة ما حدث:

- كيف حال الحيوانات؟

- ماذا؟ الحيوانات؟ آه، انها في حالة جيدة، بل ممتازة. وقد ازداد عددها بعد ان رأيتك المرة الماضية.

وتوقفت فجأة لتنظر الى هولي والابتسامة على ثغرها.

- صحيح؟ كم عددها؟

وجهت هولي السؤال وهي تحاول ان تتحسس حزام الأمان في السيارة.

- جاءتني بعض القطط. ولم اتمكن الا ان احتفظ بها. انها رائعة.

- هل تعنين ان احدى القطط انجبت؟

اجابت مبتسمة:

- لا، لا. اني وجدتها في صندوق خشبي. بل غاريت هو الذي وجدها.

كانت منهمكة في تغيير سرعة السيارة وهي تقترب من حافة طريق ضيقة. وخطرت فكرة لهولي وهي ان هواية العمة مارغريت في جمع الحيوانات مماثلة لهواية جمع الطوابع عند بعض الناس. وهي معروفة على بعد اميال «بسيدة الحيوانات» وبعضهم يضيف عبارة «مجنونة» الى هذا اللقب. ولكن ما علاقة غاريت بهذا الموضوع؟

وهمت هولي بالسؤال:

- من هو غاريت؟

- أنت تعلمين بمنزلي الآخر!

اجابت العمة مارغريت لتزيد من فضول هولي، ثم تابعت:

- انه باق عندي لفترة.

- رجل؟

وتجاهلت العمة مارغريت الأمر محاولة ان تحيط الموضوع بغموض متعمد فقالت:

- نعم! لكنه يساعدني كثيراً في البيت ويهتم بالحيوانات.

ورفعت ذراعها الأيسر على نافذة السيارة لتبدو غير مكترثة بالحديث لكن هولي اردفت قائلة:

- رجل اخر يا عمتي مارغريت! كيف جئت به؟

- وصل يوماً بسيارته اللاند روفر وسألني من يملك المنزل المجاور لي، وما اذا كان معروضاً للبيع... باختصار عاد واستأجر منزلي

لبضعة اشهر.

ثم ادارت راديو السيارة لانهاء الحديث حول هذا الموضوع.

واستحسنت هولي فكرة بقائها مع عمتها لفترة. هناك ستلتقي بعض الحيوانات التي اعتادت على دلال سيدة مسنة طيبة القلب. وهي تسكن منزلاً ابيض اللون على بعد ميل تقريباً من اقرب طريق، ولا انيس لها سوى تلك الحيوانات. واذا كان ثمة رجل يسكن المنزل الآخر فقد قررت هولي ان تلتقيه.

اشارت العمة مارغريت بيدها لترشد هولي الى مكان المنزل، فيما السيارة تصعد تلك الطريق الجبلية الضيقة، في منطقة كيشارد تحت رذاذ المطر وامام الفلاحين الذين اومأوا برؤوسهم للتحية. فالجميع يحبها ويعرفها جيداً اذ تأتيهم مرتين في الاسبوع على دراجتها لابتياع حاجات المنزل. وقد سمعت هولي احدهم مرة يقول لسائح اميركي مشيراً اليها بلهجته المحلية:

ـ انها الآنسة تمبلتون، احدى اشهر النساء في هذه المنطقة.

ولا ينسى احد من اهل القرى المجاورة انها نظمت القصائد وكتبت قصصاً للأولاد يوم كانت معلمة.

تابعت العمة مارغريت، مع هولي سيرهما نحو المنزل. وبعد ان اجتازت القرى توقفت على بعد ميل تقريباً من الطريق العام حيث تسكن بعيداً عن الناس. وكعادتها في كل مرة، شعرت هولي كأنها تعود الى منزلها بعد غياب طويل، فالتفتت بهدوء نحو العمة مارغريت شاكرة ممتنة. واجابت:

ـ يسعدني ان استقبلك هنا دائماً، يا ابنتي!

وحاولت العمة مارغريت ان تتجنب الكلب الالزاسي الضخم امام باب منزلها. اخذ يعوي بشراسة. لكنه لم يعمد الى ايذاء احد. فهو يرأف بجميع ضيوف السيدة، كما يرأف حتى بحيواناتها. اذ يشعر بمدى اهتمامها بهم. وقد جاءت به العمة مارغريت منذ ثلاثة اعوام من ادنبره.

بعد نزولها من السيارة الصغيرة البرتقالية اللون، انتهرت العمة مارغريت كلبها قائلة بحزم:

ـ ابتعد يا كازان، اياك ان تلوث هولي بوحولك.

وركض الكلب مغتبطاً على الممر المبتل بالمطر امام المنزل. وفتحت هولي صندوق السيارة وانزلت حقائبها مختلسة النظرات الى المنزل المجاور الابيض اللون على بعد عدة امتار من منزل عمتها. ولاحظت الدخان المتصاعد من المدخنة والستائر الحمراء خلف النوافذ، عضت شفتها حين رأت عمتها سائرة باتجاه الباب. هي لن تتغير ابداً. ان لم يكن غاريت فسيكون اي رجل اخر. لا بد من احد يطلب المساعدة. لا بد من احد بحاجة الى طعام او فراش. وهي لا تقوى على رفض مد يد العون. واغمضت هولي عينيها للحظات وقالت:

ـ ولماذا اثير هذا الموضوع؟ الست انا هكذا ايضاً؟

حملت حقائبها ودخلت المنزل لاحقة بعمتها.

لفتت انتباهها غرفة الجلوس بدفئها وحرارتها، واحاطتها العمة مارغريت بكل حفاوة وترحيب.

ـ لقد سبقنا الى المنزل واضرم نار الموقد. الم يكن ذلك مفيداً؟

وضعت هولي حقائبها على السجاد الأحمر وسألت:

ـ هل تعنين انه يأتي ويذهب كيفما يشاء؟

ـ نعم، فهو يعلم انني سألتقي بك.

ـ ولكنك لا تعرفينه جيداً فبامكانه ان . . .

ولم تتمكن هولي من متابعة الكلام فعلقت العمة مارغريت بقولها:

ـ وجهه يوحي بالثقة والاخلاص. انا اعرف الناس. اجلسي الآن ريثما احضر لك فنجاناً من الشاي.

لحقت هولي بعمتها مارغريت الى المطبخ. وتذكرت بان تحني رأسها امام الباب القصير. ولم تتمكن من الجلوس لشدة اضطرابها.

بعد قليل وضعت يدها على رأسها وقالت:

ـ كان بامكانك ان تأتي الى المنزل بدون ان تجدي فيه شيئاً.

ثم سألت عمتها:

ـ من اين يأتي هذا الرجل المدعو غاريت؟

ـ لا اعلم. ولكن ماذا يهمني من هذا الأمر؟ انه يدفع ايجاره باستمرار ويقوم باعمال شاقة. وهو نظيف ونبيه.

واومأت العمة مارغريت برأسها ورمقت هولي بنظرات حادة لم تدرك معناها الا بعد لحظات.

ـ آسفة يا عمتي. لست ادري ما بي. كل ما في الأمر انني اخاف عليك من اي مكروه.

ـ اعلم انك كنت مرهقة في الاشهر الماضية، انظري الى هذه القطط اليست رائعة؟

ونظرت هولي الى الصندوق الكبير حيث تنام خمس قطط. عمرها لا يتجاوز الاربعة اسابيع. حملت واحدة منها واخذت تداعبها برفق ودلال. ثم قالت:

ـ ما اجمل هذه القطط. كيف يمكن ان تترك هكذا؟

ـ لست ادري. ولكن جيء بها الى هذا المكان. يا للحيوانات المسكينة. اطعميها بعض الحليب ثم ضعيها في الممشى الخلفي لفترة.

وفيما هولي منهمكة باطعام القطط، اذ بواحدة منها تقفز الى كتفها وتلامس عنقها فالتفتت لترى انها سموكي السوداء الكبيرة. وهي القطة المفضلة لدى هولي. وبعد لحظات اجتمعت سائر القطط وبينها بونتي وكتي.

وتذكرت هولي كم كانت تستيقظ، في زياراتها السابقة لتجد نفسها بعد منتصف الليل محاطة بالقطط بحيث يصعب عليها الحراك في فراشها.

ـ اشربي الشاي اولاً، ثم عودي الى القطط لتطعميها.

واعطت هولي فنجاناً من الشاي الساخن ثم طردت القطط خارجاً واغلقت الباب. وفيما هما جالستان تشربان الشاي قرب الموقد قالت هولي لعمتها:

ـ لست ادري كيف تدبرين امرك.

ـ آه، ليس في الأمر مشكلة حين تعتادين على هذه القطط. ثم ان غاريت يبني لها اكواخاً خشبية صغيرة في الحظيرة حيث ستنعم بالدفء في فصل الشتاء. ثم ان المنزل لم يعد يتسع لكل هذه القطط.

وابتسمت هولي وفكرت كيف ان عمتها مستعدة لأن تقدم سريرها لحيواناتها اذا علمت انها تقاسي من شدة البرد. ويبدو ان غاريت يدرك تماماً ما يفعل. فكل من يشارك العمة مارغريت في حب حيواناتها والاعتناء بها فهو لا يمس. ماذا يريد غاريت من وراء ذلك؟ يجب ان تعرف قصده. فالعمة مارغريت عجوز طيبة القلب ولا ترى سوى حسنات الاخرين، لكن هولي، ابنة الثمانية عشر عاماً، لا تشاركها حسن الظن هذا. وبدأت تكوّن لنفسها صورة ذهنية محددة عن ذاك الرجل الغريب.

بعد ان تناولتا طعام العشاء قامتا بنزهة مع الكلاب، قرب التاسعة مساء. وخطر لهولي ان تسأل:

ـ الا يزورك غاريت ابداً؟

واجابت العمة:

ـ تريدين الاجتماع به؟ اعتقد انه لن يأت اليوم ليتركني استقبل ضيفتي.

ـ وهل اعلمته بمجيئي؟

ـ نعم لقد اخبرته قبل ذهابي الى المحطة. فهو لا يتردد علي باستمرار سوى في المساء. وهو، كما قلت لك، يقوم بأعمال كثيرة يصعب علي ان اقوم بها بنفسي.

وسألت هولي بشيء من الفضول:

ـ الا يذهب غاريت الى عمله؟

ترددت عمتها في الجواب. وتمنت لو لم تسأل هولي هذا السؤال، ثم اجابت:

- لا، ليس تماماً.

وازداد فضول هولي فأردفت بسؤال آخر فيما هما تقتربان من المنزل الثاني:

- هل هو متقدم في السن، متقاعد ربما؟

- اعوذ بالله. لا، ابداً. هو شاب في اوائل الثلاثينات من عمره.

توقفت هولي عند هذا الحد. فهي لا تريد ان تتدخل في شؤون عمتها وفي امر تأجير المنزل، ومن هو المستأجر. بات اهتمامها محصوراً في ذاك الرجل. وفيما هما تقتربان من المنزل اختلست النظرات الى الداخل ولاحظت نوراً ساطعاً خلف النوافذ. ترى هل ينتظر احد الضيوف...

وجلستا تحيطهما تسعة كلاب وقطتان. وكانت ليلة هادئة مقمرة بعد انقطاع المطر. تنفست هولي الصعداء وشعرت بشيء من الارتياح بعد اشهر مليئة بالصعوبات، اثر وفاة والدتها واضطرارها لترك العمل بسبب تجرؤ ابن صاحب الشركة وتطاوله عليها، وها هي الآن تلبي دعوة عمتها التي قطعت عليها حبل افكارها حين نادت احد الكلاب وعاد الجميع الى المنزل.

نامت هولي، تلك الليلة، ملء جفونها بعد ارهاق السفر الطويل. واستيقظت لترى الشمس مشرقة وبعض القطط على سريرها. فطردتها وقامت لتغتسل وترتدي ثيابها.

كل شيء كان ساكناً حين هبطت السلم. ولا اثر للعمة مارغريت. قام سموكي وكازان لاستقبال هولي التي خرجت الى الحديقة بحثاً عن العمة مارغريت، وفيما هي تنادي عليها كان الكلبان قد لحقا بها.

خيم الصمت ولم تسمع سوى وقع اقدام بعض الكلاب الآتية نحوها، تقدمت هولي نحو فسحة امامية، لترى ما الذي فعله ذلك

الرجل. فرأت مسطحاً خشبياً مرتفعاً نحو قدم عن الأرض، ومسيجاً بحجارة من القرميد، تفصلها اعمدة خشبية تاركة اشكالاً هندسية، حجم واحدها اربعة اقدام مربعة تقريباً. ورغم كون ذلك المسطح الخشبي لم يكتمل بعد فقد تمكنت هولي من ان تلاحظ دقة العمل. فالخشب مقطوع بمهارة، وكل واحد من الكلاب اختار مكانه وجعل منه سريراً له.

وفيما هي تنحني لترى عن قرب ذلك المكان سمعت صوتاً من جهة الباب يقول:

- انتبهي كي لا يتمزق ثوبك فبعض هذا الخشب ما يزال خشناً.

كان الصوت عميقاً ومغتبطاً وفيه وقع مريح. نظرت هولي حولها ورأت رجلاً امام الباب والنور خلفه فلم تتمكن من مشاهدته بوضوح، لكنها لاحظت انه طويل القامة عريض المنكبين. بعد لحظات تقدم نحوها بهدوء الواثق من نفسه. بدا وجهه مسمراً وبنيته قوية وعيناه سوداوين تحت حاجبين كثيفين وفمه العريض دقيق الشكل. شعرت انها امام رجل غجري فلم تأنس له. وكان هو اسوأ كثيراً مما تصورت، خاصة حين راح يقيسها بنظراته الواثقة من رأسها حتى اخمص قدميها.

- انا غاريت نيكولاس. وانت ابنة اخ الآنسة تمبلتون؟

صافحها فوجدت هولي نفسها مضطرة لمصافحته. كانت يده خشنة وقوية. تراجعت بهدوء وسحبت يدها ببطء واحست بشعور خفي يعادل الانزعاج.

وقالت:

- انا ابحث عن عمتي. اتعلم اين هي؟

- اليست في المنزل؟

قال ذلك بعد ان لاحت حركة من عينيه.

- كلا.

لم تتابع هولي الكلام لتقول ان هذا السؤال سخيف. لكنه علق

على كلامها:
- كلا، والا لما سألت السؤال، اليس كذلك؟
- ظننت انها جاءت تتفقد الكلاب.
- ربما ذهبت الى القرية.
- ولكن سيارتها ما تزال هناك.
- على دراجتها.
وتابع بهدوء:
- كثيراً ما تفعل ذلك صباحاً لتذهب الى الحوانيت.
شيء ما يزعج هولي. لم تدر ما هو. ربما كان طبعه الكسول والواثق من نفسه. ثم قالت له بدون ان تفكر بما تقول:
- اعتقد انها تتبضع لك ايضاً؟
شعرت بشيء من الندم على ما قالته، لكن هذا الشعور جاء متأخراً. التفت اليها بهدوء والبريق يلمع في عينيه ثم قال:
- انا لست واحداً من كلابها الضائعة، يا آنسة تمبلتون. انا قادر تماماً على شراء طعامي ساعة يحلو لي ذلك وكيف يحلو لي. اما عمتك فيسرها ان تذهب الى القرية على الدراجة. لقد عرضت عليها مراراً ان اخذها بسيارتي حين يكون الطقس ماطراً لكنها مثلي تفضل حريتها.
وانصرف منزعجاً بعد ان ادار بطرفه مؤكداً تذمره.
- يوماً سعيداً يا آنسة تمبلتون.
وفكرت هولي في ذلك الرجل. كان مثلها سريع التجهم. لكنها ادركت ان حديثها معه قد ادى الى نوع من النفور بينهما. وفيما هي عائدة الى المنزل كانت تفكر في الأمر، وفجأة خطرت ببالها فكرة مذهلة. ماذا لو كان في الحديقة مساء امس وسمع حديثها مع عمتها حين سألت هولي عن عمل ذلك الرجل؟ ربما كان قد ادرك حقيقة مشاعرها، وتصور كيف يمكن ان تبدو له. راودتها تلك الافكار المضطربة ثم نفضت هولي يديها وكأنها تمحو بذلك اثر ملامسته.

علمت انها لم تستلطفه وان هذا الشعور متبادل بينهما.
ومن يظن نفسه في كل حال؟ التفتت هولي الى المرآة فلاحظت احمرار خديها وسواد عينيها يعلوهما حاجبان كثيفان دقيقان. وانتبهت لأول مرة كم هي جميلة بشعرها المتدلي على كتفيها وفمها العريض الكثير الانوثة وغير المطلي بحمرة الشفاه. وتأكدت ان رجلاً غريباً حملها على الشعور بانوثتها وصباها. ربما كان مزعجاً لكنه لم يكن رجلاً عادياً على الاطلاق.
عادت العمة مارغريت متذرعة بكل اسباب تأخرها. فأمسكتها هولي بعناق حار قائلة:
- لا بأس، لا بأس، يا عمتي. لا مبرر لأن تسرعي من اجلي. خرجت الى الحديقة بحثاً عنك وهناك اخبرني السيد نيكولاس أين ذهبت.
نظرت الى هولي قائلة:
- اذن التقيت به؟ والآن ماذا تقولين عنه؟
ثم اومأت برأسها وادارت عينيها لتلقي نظرة على هولي التي ادركت ان عليها ان تأخذ حذرها، فأجابت:
- يبدو انه مختلف بعض الشيء عما كنت اتوقع. وهو اصغر مما كنت اعتقد.
- أنت لا تريدين ان تتورطي في كلامك. اما زلت تعتقدين أنه رجل ينوي سرقة مجوهراتك؟
وضحكت هولي معلقة:
- يا الهي، أنا لم أقل ذلك أبداً!
وربتت العمة مارغريت على كتفها قائلة:
- أنا أمازحك يا ابنتي.
ثم اتت ببعض المساند ووضعتها على كرسي قريب وتابعت كلامها:
- اعتقد انه دمث الاخلاق. قد يكون حاد الطبع لكنه دمث

الاخلاق.

واتسعت حدقتا هولي، أيمكن ان يكون هذا الكلام صادراً عن عمتها؟ وأكملت العمة قائلة:

ـ كان بودي ان اقدمك له فقط لأرى ردة فعله. انت جذابة جداً يا هولي. ولاحظت بعض الحياء يراود هولي فأردفت تقول:

ـ لا مبرر لهذا الحياء. فأنت فعلاً جذابة. وهذا الشعر المسترسل الرائع الذي تتميز به عائلتنا. قد لا تصدقين ان قلت لك انني كنت نجمة الحفلات الراقصة في صباي، وأنت تتمتعين بالشعر ذاته والعينين السوداوين باهدابها الطويلة ايضاً. لديك قوة اغراء يضعف امامها كل الرجال.

وابتسمت هولي قائلة:

ـ ليس الآن، وقد لا يكون هو بين هؤلاء الرجال.

وأدارت عمتها الطرف قائلة:

ـ انت بحاجة الى بضعة أيام من الراحة والنوم الهنيء. هذا كل شيء. يا لهذا الرجل الحاد الطباع. كان عليك ان تكسري الاناء فوق رأسه. اينها الصغيرة. لماذا تقولين قد لا يكون هو بين هؤلاء الرجال؟ اواثقة انت انك لا تستهجنين شيئاً في طباع غاريت؟

اجابت هولي بانقباض:

ـ ما قصدت ذلك.

لا لم تستهجن شيئاً في طباع ذلك الرجل. بل على العكس. شعرت لحظة لقائها به بمعنى الرجولة، هذا المعنى الذي جعل حركة نبضها تسرع. لقد ادركت انه رجل حقيقي. لكن تلك النظرات من عينيه السوداوين، ماذا؟ ادركت هولي فجأة ان لون عينيه كان بنياً قاتماً معادلاً للسواد وهو لون غير عادي. وفهمت الآن لماذا تذكرت ذلك على غير عادتها...

انت تحلمين حلماً بعيداً يا ابنتي، استيقظي. انا ذاهبة لأحضر

الشاي.

دخلت العمة مارغريت الى المطبخ ثم لحقت بها هولي وهي تحمل سلة مليئة بالمعلبات. وحين عرضت هولي ان تساعد عمتها، اصرت هذه عليها بأن ترتاح لبضعة ايام اخرى لتستعيد قواها. وسألتها هولي بمرح:

ـ ماذا ستهيئين لي ليوم الاثنين المقبل؟ لا بد ان اعمل في المنزل، اليس كذلك؟

ارتسمت ابتسامة عريضة على وجه عمتها واجابت مقرة:

ـ ربما، وهذا ما يسرني منك. من الجميل ان استعيد شعوري بالرفقة من جديد. وأنا لم اعد اعمل في البيت قدر ما كنت اعمل سابقاً. غاريت يقوم بكل ما اطلبه منه. لقد جاء ونظف المنزل منذ بضعة اسابيع حين اصيب كاحلي. ولم يقل عمله جودة عن عمل اية امرأة. ثم قام بشراء الحاجات المنزلية لمدة اسبوع.

توقفت قليلاً عن الكلام ثم اردفت قائلة:

ـ أنت لا تستلطفينه، أليس كذلك؟

لم يكن عادلاً او ممكناً عند هولي ان تقول لعمتها ما هو اقل من الحقيقة، لذلك اجابت:

ـ لا، لا استلطفه.

ـ ولماذا يا هولي؟

سألت وعلامات الدهشة والاستغراب مرتسمة فوق وجهها المدور. وترددت هولي في الاجابة ثم قالت:

ـ هذه من الأمور التي تحدث عادة. يمكنك ان تلتقي رجلاً لطيفاً وعادياً للغاية، لكنه لم يكن لطيفاً ولا عادياً. ثم ان كل ردات فعله خاطئة، ولا يمكن لأحد ان يغيرها.

ـ كثيراً ما يحدث ذلك. أنا اعلم بالأمر.

وانحنت بهدوء لتسكب الشاي في الفنجان فلاحظت هولي

ابتسامتها العابرة.

ـ ربما.

ولم تشأ هولي ان تخبر عمتها عن شعورها الغريب بالحذر من خطر محدق، حين صافحت ذلك الرجل، لأن عمتها لن تصدقها. وفجأة لم تعد ترغب في متابعة الحديث في هذا الموضوع.

ربما ادركت العمة مارغريت حقيقة الأمر فغيرت هي الاخرى حديثها ولم تعد تذكر اسم غاريت ذلك الصباح.

في مساء ذلك اليوم قررت هولي ان تتمشى خارج المنزل برفقة سموكي الذي اسرع امامها مغتبطاً لفكرة النزهة الاضافية غير المتوقعة. كانت ليلة صافية دفعت بهولي الى السير طويلاً بين التلال قبل ان تقرر العودة قرب الساعة الحادية عشرة. وحين مرت بجانب منزل غاريت لاحظت حركة ادت الى فتح الباب. ثم خرج رجل واتجه نحو الممر المؤدي الى الطريق العام. وما كان نظرها خاطئاً، حتى في ظل القمر الشاحب. ها هو بمنكبيه العريضين. ترى الى أين كان ذاهباً في تلك الساعة المتأخرة؟

وما ان وصلت هولي الى المنزل حتى وجهت هذا السؤال الى عمتها التي كانت ما تزال منهمكة بحياكة الصوف، فأجابت:

ـ لست ادري. انه يخرج ويعود كما يحلو له. لكن علي الاقرار بأن الساعة متأخرة الآن. هل رآك؟

وأومأت هولي برأسها مجيبة:

ـ لا. كنت أسير في الظل آخر الرصيف. وهو لم ينظر وراءه في كل حال.

ـ غداً سأثير معه هذا الموضوع.

ثم توقفت عن حياكة الصوف.

ـ لا. أرجوك! لا اريده ان يظن بأنني كنت اتجسس عليه.

قالت هولي ذلك فأحست بعيني عمتها تتركزان عليها.

ـ انا متأكدة انه لن يظن بذلك.

وذهبتا بعد هذا الى النوم. غير ان هولي شكت من ارق طويل، واخذت تفكر طوال الليل بأمها وابيها، خاصة أن الجراح لم تكن قد التأمت بعد. الزمن وحده كفيل بذلك. وحين اوشكت ان تنام سمعت وقع اقدام تتقدم نحو المنزل فنهضت الى النافذة.

كان ضوء القمر خلفه يطيل من ظله وهو يقترب من منزله. وما ان دنا حتى التفت الى فوق وتوقف قليلاً. وادركت هولي انه رآها.

استيقظت باكراً صباح اليوم التالي. كان يوم احد. نزلت السلم واطعمت القطط واخرجتها الى الحديقة. ثم اعدت الشاي واخذت فنجاناً الى عمتها حيث كانت تنام على السرير الكبير الذي عرفته العائلة منذ اجيال.

ـ صباح الخير يا عزيزتي.

تنشطت العمة مارغريت وتابعت:

ـ ما هذه المفاجأة السارة؟ ولكنك بكرت هذا الصباح.

اجابت هولي مبتسمة:

ـ انها الساعة الثامنة يا عمتي. فكرت ان اذهب الى السوق في القرية. والطقس غائم، فهل لي ان استعير سيارتك؟

ـ نعم، المفاتيح في السيارة. انتبهي قد تأخذ بعض الوقت لتعمل.

ـ سأتدبر الأمر، لا تقلقي. هل تريدين ان اطعم القطط او الكلاب قبل ان اذهب؟

شربت العمة مارغريت الشاي وهي مرتاحة لما تسمع، ثم اجابت:

ـ لا يا حبيبتي، سأنهض بعد لحظات واطعمها جميعاً. اما انت فاذهبي الآن. قبلت هولي عمتها وانصرفت.

دارت مفتاح السيارة الصغيرة فلم يدر المحرك. اعادت الكرة مرة ثانية، فعلا صوت المحرك لكنه ظل في مكانه بدون ان يتقدم. وفكرت هل تخرج لتحاول دفع السيارة بيديها... لكن ذلك سيكون مصدر ازعاج لها. انحنت قليلاً لتأخذ مظلتها من المقعد الخلفي وتعود الى عمتها طالبة المعونة... وفجأة فتح الباب ورأت غاريت نيكولاس يدخل السيارة الى جانبها. ثم سمعت سؤاله:

ـ هل من صعوبة؟

ـ المحرك لا يدور.

قالت ذلك وهي تميل ببطء على المقعد الضيق في السيارة الصغيرة. كان غاريت قد استيقظ من نومه الطويل وخرج بلباس العمل. سروال قديم من الجينز وقميص أزرق. ألقى نظرة على هولي ثم قال:

ـ توقعت ذلك. دعيني احاول. انتقلي الى هذا المقعد.

وخرج من السيارة لينتقل الى المقعد الآخر امام المقود.

حاول مرارا فلم يدر المحرك. والتفت نحو هولي قائلا:

ـ سأحاول اصلاح العطل فيما بعد. هل تريدين ان آخذك في سيارة اللاند روفر؟

ـ لا، شكراً.

اجابت هولي بحزم. ثم تابعت:

ـ سأمشي وآخذ معي هذه المظلة.

ـ الى اين تذهبين؟

ـ الى كنيسة القرية.

ـ انها على بعد ميلين تقريباً. لا يمكنك الذهاب مشياً. انتظري قليلاً وسأعود في الحال.

ولم ينتظر جوابها. لكن هولي وجدت نفسها متحيرة وموزعة المشاعر بين رفض خدمات هذا الرجل المزعج، وبين استحالة السير

على الاقدام مسافة ميلين.

عاد بمعطفه القصير وصعد لتوه الى سيارة اللاند روفر بجانب المنزل. راقبته هولي يقود السيارة نحوها ثم صعدت الى جانبه وقالت:

ـ شكراً لمبادرتك اللطيفة.

ولم يلتفت نحوها كأنه لم يكترث لكلامها. ثم قال:

ـ لا بأس، لا بأس، اجلسي جيداً.

وساد صمت طويل مما دفع هولي لأن تذهب بعيداً في تفكيرها. يداها تشدان على حقيبتها ونظراتها شاردة. وفجأة سمعت صوته يقول:

ـ استريحي.

ثم رأى كلباً وسط الطريق فعلق قائلاً:

ـ لا استطيع ان ادهسه. عمتك لا تسامحني ابداً.

انتبهت هولي لكلامه الساخر، لكنها لم تعلق، بل اشاحت بوجهها لتنظر بعيداً من نافذة السيارة. وخطر لها انها اخطأت بقبولها المجيء بسيارته. وما ان اقتربا من القرية ولاح لهما بعض القرويين العاملين في الحقول حتى قالت:

ـ بامكاني ان انزل هنا. شكراً.

وفيما هو يتجه نحو الطريق الضيق ليقف بسيارته قال لها:

ـ ارجو لك نزهة ممتعة في القرية.

ثم نزل من السيارة واسرع نحو الباب الآخر ليفتحه لهولي فقالت له:

ـ شكراً لك ثانية يا سيد نيكولاس.

واغلقت الباب بسرعة قبل ان تتابع كلامها وتخبره رأيها فيه. ثم تابعت:

ـ سأعود الى المنزل سيراً.

ولم تنتظر منه جواباً. كل ما تعرفه انها لم تلتق رجلاً مثله من قبل، يستطيع ان يثير غضبها بهذه السرعة وبقليل من الكلمات. وفيما هي متجهة نحو الكنيسة فكرت ثانية بما قاله لها. ادركت ان اسلوبه في الكلام يزعجها اكثر من كلامه بالذات، كأنه يتعمد ازعاجها وقد نجح في ذلك الى ابعد الحدود. لكن العمة مارغريت تنظر اليه نظرة سامية. ربما كانت حقيقة امره على غير ما يبدو منه نحو هولي. في كل حال، اقتنعت هولي بأن عليها ان تتأكد من حقيقة امر ذلك الرجل.

بعد انتهاء جولتها بقيت هولي في باحة القرية تتحدث الى القرويين. البعض يعرفها منذ الطفولة، واستمع الجميع اليها وهي تتحدث عن والدتها بشيء من الارتباك. وبدا الحزن على وجه الذين يعرفون والدها قبل موته المفاجيء منذ سنتين.

لم تأت بالمظلة معها. استبدلتها بقبعة تقي رأسها من الشتاء. وبعد قليل ودعت القرويين وانصرفت عائدة الى منزلها سيراً، واخذ رذاذ المطر يقوى ويتساقط على خديها وهي في طريق العودة.

بعد لحظات سمعت صوت سيارة تقف بجانبها، لم تلتفت ولم تكترث. وفجأة سمعت صوتاً تعرفه يقول لها:

- تفضلي، اصعدي.

والتفتت واذا بغاريت نيكولاس امامها بسيارته اللاند روفر وهو ينحني ليفتح باب السيارة لها.

اومأت برأسها وقالت مترددة:

- لا ضرورة لذلك.

- طلبت عمتك مني ان اعود وآتي بك الى المنزل.

قال ذلك بكل ثقة وحزم، حيث قطع الطريق على كل مناقشة، فوجدت هولي نفسها طائعة صاغرة. وبدا الرجل قوياً خاصة بيديه الضاغطتين على المقود بقسوة وشدة.

- كان عليّ ان اوضح لك الأمر. صحيح ان عمتك هي التي

طلبت مني ذلك ولكني كنت آتياً في كل حال.

فوجئت هولي بهذا الكلام ولاحظت ان غاريت بدا يحسن تصرفه معها. فشكرته على ذلك.

بعد قليل انعطف بسيارته على منعطف ضيق باتجاه المنزل وسأل هولي بعد لحظة صمت:

- اتريدين وضع بعض الكحل والحمرة قبل النزول؟

اومأت برأسها ووجدت نفسها لأول مرة تلتفت نحوه ثم علقت:

- لا بأس. لا بأس. هل يبدو منظري قبيحاً؟

- لا. لا... ولكن ظننت... آسف لاثارة هذا الموضوع.

- لا تعتذر. كان جميلاً منك ان تقترح ذلك.

وبدا عليها شيء من الخجل ثم قالت:

- انا الآن على ما يرام.

- حسناً. لننزل الآن.

وما ان نزل من السيارة حتى كانت هولي قد سبقته بفتح الباب والنزول، ثم قالت:

- شكراً لايصالك اياي.

وعاد الى شيء من الجفاف حين قال ببرودة:

- اهلاً بك في اي وقت.

عادت عيناه تنظران نظرة الرجل الغريب. ومشت هولي نحو المنزل ينتابها شعور من الخوف وهي لا تدري لماذا.

بعد الغداء سألتها العمة مارغريت ما اذا كانت تبغي الذهاب برفقتها الى مزرعة مجاورة على بعد بضعة اميال على ان يأخذا معهما واحداً من الكلاب.

- لكن سيارتك لا تعمل.

- اصلحها غاريت.

نظرت عمتها الى عينيها اللامعتين. ثم تابعت تقول:

- انه يعرف الكثير عن محركات السيارات، لم تأخذ المسألة معه

اكثر من دقائق.

وضحكت هولي طويلاً. فعمتها لا تعرف شيئاً عن المحركات والآلات الكهربائية. وها هي الآن تتحدث عنها بكل حماسة وشغف. وفي لحظة خاطفة فكرت هولي كيف كانت عمتها تعيش وحيدة تدبر امورها بنفسها. ماذا كانت تفعل كلما احتاجت الى من يقوم لها بالتصليحات الميكانيكية والكهربائية. انها واحدة من المحظوظات اللواتي لا تتعطل سيارتهن الا قرب مرآب ما.

وفكرت هولي ان ذلك قد يكون متعلقاً بشخصية عمتها التي يزينها اللطف والاغتباط، على الدوام. وقد وجدت نفسها منجذبة لهذه الدوامة المحاطة بالمحبة والاحترام. بلغت عمتها السبعين من العمر وها هي ما تزال تتمتع بروح الفتوة ولن تشيخ نفسيتها ابداً. عملت في التعليم لسنوات وكانت مرشدة لبضع تلاميذ ساعدتهم في حل مشاكلهم المادية والدراسية.

ـ احب ان اذهب معك يا عمتي. اي كلب تريدين ان نأخذ معنا؟

ـ ذاك الذي يبدو كالنعجة. سيفرح مع اولئك الأولاد الذين سيلعبون معه ويهتمون به.

بعد لحظات غادرتا المنزل. وفيما هما تصعدان الى السيارة خرج غاريت من منزله، فنادته العمة مارغريت، جاء وحياها بدون ان تبدو على وجهه ملامح معبرة. استمع اليها وهي تخبره الى اين هما ذاهبتان ومتى تعودان، وبدت صغيرة امام قامته الطويلة وهزيلة امام ضخامته، وتأكد لهولي كم كانت عمتها محقة حين كلفته الاهتمام بشؤون المنزل. اذ اطلقت حريته في التصرف قبل ان تعرف شيئاً عنه. لكن العمة مارغريت تعرف ان هولي لا تستلطف ذاك الرجل، وربما تظن ان مشاعر هولي نحوه ناتجة عن موقفها منه. بعد الحديث سمعته هولي يقول:

ـ اذا تعطلت السيارة اتصلي بي فسوف آتي في الحال.

حياها بسرعة ثم تقدم ليفتح السيارة لها. وما ان مشت بهما السيارة حتى التفتت الى الوراء لتتأكد من ان الكلب يجلس خلفهما فانتبهت الى غاريت وهو ينظر اليهما من بعيد ثم التفتت هولي نحو عمتها وقالت:

ـ لم اكن ادري ان في منزل غاريت هاتفاً.

ليس لديه هاتف، وصل الاسلاك الهاتفية بمنزلي. اعرف ان هذا غير قانوني لكنني اتمكن هكذا من ان اسمع جرس الهاتف كلما رن...

ـ وهو يسرع للاجابة على المكالمة الهاتفية؟

ـ نعم، بكل تأكيد.

دهشت هولي للأمر. وتراجعت قليلاً والكآبة على وجهها. فهي تعلم انها لا يمكن ان تتفق وعمتها حول هذه المسألة.

وصلتا الى المزرعة بعد قليل. وظلتا هناك بعض الوقت تشربان الشاي مع صاحب المزرعة وزوجته وأولادهم الثلاثة. عمر الصغير ستة اعوام اسمه جون وكان يشكو من بطء في الكلام والحركة. وفيما هما خارجتان من المزرعة قالت العمة مارغريت:

ـ اذا شئتم ان ترسلوا جون الي مرة في الاسبوع فلا مانع عندي، انه لا يشكو من شيء. انه ولد ذكي وبعض العناية كفيلة بأن تجعل منه عظيماً.

وانفرجت اسارير الوالدة وقالت بشيء من الحياء:

ـ نكون جد مسرورين لهذا الأمر. جان معجب بك.

ـ اذن هذا امر نهائي. هل نحدد يوم الثلاثاء بعد عودته من المدرسة؟

في طريق العودة لاحظت هولي كم كانت العمة مارغريت مغتبطة، وخلال الحديث فهمت هولي ان عمتها كانت منذ زمن تسعى لأن تستقبل جان وتعتني به حتى يدهش الجميع بتقدمه.

واومأت هولي برأسها مؤكدة مدى اعجابها باندفاع عمتها لهذا الموضوع. وتوقف الحديث عند هذا الحد فيما السيارة تتابع طريقها الى منزل العمة مارغريت.

٢ - مشاعر غامضة

في صباح اليوم التالي تلقى غاريت رسالتين بالبريد. اخذتهما هولي الى الحديقة حيث كانت عمتها مشغولة بالكلاب.

ـ هل اعطي السيد نيكولاس رسائله ام ادفع بهما من تحت الباب؟

بدت العمة مارغريت منهمكة في اطعام كلابها. وبعد لحظات التفتت الى هولي قائلة:

ـ اطرقي الباب يا عزيزتي. اعتقد انه ذاهب الى ستراتفور في وقت لاحق هذا النهار. هل تسألينه ما اذا كان باستطاعته احضار بعض الحاجيات؟

ـ سأسأله.

لم تتمالك هولي من ان تنظر الى مغلفات الرسائل قبل مغادرتها

المنزل. كان الأول مطبوعاً على الآلة الكاتبة في مغلف طويل، والثاني مكتوباً باليد وبالحبر الأزرق. اما الطابع البريدي فيشير الى ان الرسالة آتية من فرنسا. ولاحظت هولي ان الخط المكتوب هو خط انثوي على الارجح، ولم يرق لها الأمر. لكنها فكرت ان لا شأن لها في هذا الموضوع.

طرقت الباب فسمعت صوته المرتفع:

ـ ادخل. الباب مفتوح.

احست بشعور يتجاذبه التردد والفضول. ثم دفعت الباب ودخلت الى الردهة الصغيرة حيث السلم الخشبي وسمعت صوته ثانية:

ـ سآتي بعد لحظات يا آنسة تمبلتون.

من الواضح انه اخطأ التقدير فظنها عمتها.

ـ انا القادمة يا سيد نيكولاس. آتيك برسالتين. هل...

توقفت عن الكلام حين رأته مطلاً من اعلى السلم.

ـ صباح الخير يا آنسة، تمبلتون. انه لشرف عظيم.

نزل السلم على مهل وباتجاه هولي مع ابتسامة جافة على وجهه، بدت لها ساخرة، فشعرت انها لا تستطيع الكلام. كان يرتدي الملابس نفسها التي ارتداها البارحة. وظنت للحظة انه لا يبدل ثيابه، كي لا يفكر بما يجب ان يرتدي في اليوم التالي.

اخذ منها الرسالتين شاكراً. تراجعت قليلاً ثم سمعته يقول:

ـ الردهة ضيقة بعض الشيء اليس كذلك؟ لكنها ما تزال تناسبني. الا تدخلين؟

وأشار ناحية المطبخ ثم استدرك قائلاً:

ـ اعني الا ترغبين في فنجان من القهوة؟ كنت قادماً لأعده في كل حال.

اومأت برأسها مجيبة بتهذيب كلي:

ـ لا، شكراً. انا ذاهبة الآن لأعد الغسيل. لن استوقفك طويلاً.

سألتني عمتي ما اذا كنت ذاهباً اليوم الى ستراثمور.

ـ سأذهب بعد الظهر. هل تريد شيئاً آتيها به؟

ـ نعم، من فضلك.

وما ان همت بالخروج حتى اسرع ليفتح لها الباب:

ـ اتسمحين؟

ـ شكراً.

ـ آنسة تمبلتون...

ـ نعم، يا سيد نيكولاس؟

اجابت بشيء من الارتباك.

ـ لو كنت مكانك لما اسرعت لأعداد الغسيل.

ـ ماذا تعني؟

كادت تقول له الا يتدخل في شؤون سواه. فمن يظن نفسه؟

ـ في الغسالة صوت غريب. كان علي ان اصلحها الاسبوع الماضي ولكنني نسيت.

وابتسم لها ابتسامة صغيرة لطيفة.

ـ اذا انتظرت حتى انتهي من القهوة وبعض الشرائح فسآتيك في الحال.

ـ هذا لطف منك. ولكن ارجو الا تعاني من عسر الهضم بسببي. سأجد لنفسي عملاً ريثما تأتي. اشغال المنزل لا تنتهي، أليس كذلك؟

وبادرته بابتسامة باهتة ثم انصرفت مسرعة.

اغلق الباب خلفها بقوة. وفي طريقها الى المنزل فكرت انها نجحت في التغلب عليه في حديثهما معاً. وتساءلت، مرة اخرى، ما اذا كان قد سمع ما قالت عنه، ليلة وصولها. ولكن لا مجال لسؤاله الآن. وربما لن يعرف ذلك ابداً.

كان عليها ان تعترف بمهارته الميكانيكية حين حضر لاصلاح الغسالة وراح يدور حولها بكل حماسة واندفاع ثم ينحني ليتفحصها

وصندوق العدة بجانبه. ذهبت هولي الى المطبخ لتهيء فنجاناً من الشاي. اما العمة مارغريت فقد ابتعدت عنها لظنها ان الامور تسير هكذا بصورة افضل. وحين عادت هولي بفنجان الشاي سألت غاريت:

ـ سأهيء لك بعض الطعام اذا شئت.

ـ ماذا؟ كلا، لا. انا لست جائعاً.

وانحنى ثانية ليتابع عمله في اصلاح الغسالة، ثم مرت بجانبه وحاولت الا تلمس عدة العمل. فأزاحها من طريقها قائلاً بشيء من الجفاف:

ـ اهكذا افضل؟

ـ آسفة.

ـ لا بأس، لا بأس.

وبعد لحظات سقط مفتاح البراغي فجرح يده. وشعرت هولي انها السبب في ذلك. فسألته:

ـ هل جرحت؟

ـ ليس الأمر مهماً.

لكنها لاحظت قليلاً من الدم على يده. فأسرعت وهي تقول:

ـ سآتيك بالضمادات.

كان واقفاً ينتظرها. وما ان عادت اليه حتى لاحظت طول قامته ومعالم الرجولة فيه. كما لاحظت انها، على غير عادتها، مرتبكة في تضميد الجرح. انتبه هو للأمر فعلق بشيء من المداعبة قائلاً:

ـ هل اضمد الجرح عنك؟

ـ لا. لا سأتدبر الأمر.

وبعد دقيقة تقريباً من وضع المرهم ورش المساحيق ولف الاصبع المجروح بالشاش المطهر، نظر الى يده وحرك اصابعه مختبراً صحة المعالجة.

ـ شكراً. هل احتاج الى بعض الشاي في حال شعرت بالدوار؟

كان في هذه السخرية يحاول مداعبة هولي التي اجابت بقولها:

ـ لا يبدو عليك اي دوار.

وكادت ترميه بعلبة الأدوية. لكنها لم تقدم على ذلك. وانصرفت في الحال منزعجة من تعليقاته الساخرة. وقررت ان تبتعد عنه قدر المستطاع. لكن القول اسهل من الفعل فحين جاء غاريت بعد ظهر ذلك اليوم الى العمة مارغريت، لابتياع حاجياتها. التفتت العمة نحو هولي وقالت:

ـ هل انت بحاجة الى شيء من السوق يا هولي؟ باستطاعة غاريت ان يأخذك معه. أليس كذلك يا غاريت؟

وقف امام الباب بقامته الطويلة ثم التفت نحوها مجيباً بشيء من الاغتباط:

ـ بكل تأكيد.

التفتت هولي نحو عمتها وهي لا تدري ماذا تفعل. انه موقف حرج جداً لم تكن هولي لتتوقعه وبهذه السرعة. فكلام عمتها يوحي بأن الخطة مدروسة، ولكن:

ـ لا. انا لا اريد.

وأومأ غاريت برأسه مستفسراً:

ـ هل انت خائفة؟

وتنازعها شعور حاد بين قبول التحدي والرفض. وانتبهت انها لم تضع على وجهها اياً من مساحيق التجميل، اذ لم تكن مستعدة للخروج من المنزل. وسمعت صوت غاريت ثانية:

ـ اعدك باننا لن نغيب طويلاً.

وكأنه ساعدها، بهذا الكلام، في ايجاد المخرج، فاجابت في الحال:

ـ شكراً. علي ابتياع بعض الحاجيات. سارتدي معطفي واعود فوراً.

وفيما هما خارجان من المنزل سألها بنبرة فيها الكثير من التودد:

- اخبريني، هل انا اخيفك حقاً؟ ام انت تكرهين الرجال عامة؟
فوجئت هولي بهذا السؤال غير المتوقع. فأجابت ببرودة واضحة:
- لا افهم ابداً ماذا تعني.
- بل تعلمين تماماً ماذا اقصد. غالباً ما تنظرين الي وكأنني طالع من صخر، وتتصرفين عني بخجل كلما حاولت الاقتراب منك.
وفيما هي تلتقط انفاسها لتستعد لخوض معركة معه تابع قائلاً:
- انظري الى نفسك الآن. تبدين وكأنك واحدة من القطط التي اخذ منها طعامها.
وهمت بالخروج من السيارة محاولة فتح بابها لكنه اسرع واقفل الباب قائلاً:
- لا تحاولي الفرار الآن. فهذا لن يفيدك كثيراً.
- اذن توقف في الحال. انا لا اجلس هنا لأتلقى الاهانات منك.
وفيما هي تحاول الخروج ثانية. دفع بيدها عن قفل الباب مانعاً اياها من فتحه. ثم قال بهدوء:
- لم هذا التسرع؟ نحن ذاهبان الى السوق أليس كذلك؟
- لن اذهب معك الى اي مكان، يا سيد نيكولاس، وارفع يدك عني في الحال.
امسك بذراعيها بيدين من حديد والتفت نحوها قائلاً بهدوء وحزم:
- هدئي من روعك ايتها القطة البرية. فكري ماذا تقول عمتك لو عدت الآن راكضة.
ارتاحت قليلاً فيما راحت تلهث من الاضطراب، وبعد لحظات من الصمت عادت لتلتفت نحو غاريت قائلة:
- لا بأس. لقد اثبت لي قوتك البدنية. دعني اذهب الآن. . . ارجوك.
- هكذا افضل.
قال ذلك ورفع يديه عن ذراعيها. كانا على بعد ميل تقريباً من

المنزل. وهما على الطريق العام. فمن غير اللائق هولي ان تغادر السيارة وتعود سيراً على قدميها، ولو كان الدافع شجار غير مقصود من قبلها.
- لم اسمع جوابك على سؤالي بعد.
- ظننت انك تعرف الجواب سلفاً، لا، انا لا اكره الرجال.
- انتم النساء لا تحاربن حرباً عادلة.
- ذلك يتوقف على نوع النساء اللواتي حاربتهن وعلى عددهن. ان الرجال الذين اعرفهم لا يحاربون النساء.
واخذ يضحك ثم اجاب:
- واجوبتك حاضرة دائماً. يبدو ان طبعك حاد على غير ما يظهر للوهلة الأولى. لذا احمل كلامك محملاً شخصياً.
- اذا شئت.
ثم التفتت الى النافذة مشيحة بوجهها عنه.
- لماذا اذن تعاملينني هكذا؟ لا اعتقد ان شكلي يثير الاشمئزاز. ربما لأنني عاطل عن العمل، ولأنني ابدو كسولاً لا هم لي ولا جذور، اليس كذلك؟
عادت والتفتت نحوه قائلة:
- انت قلت ذلك. لا انا. ما يثيرني ان تستغل طيبة عمتي انها جد لطيفة، ترى الخير عند كل الناس، وأنت. . . انت. . .
وفجأة توقفت عن الكلام لأنها لا تريد البوح بما تكنه عنه رغم حراجة الموقف. ويبدو انه قرأ افكارها فتابع الكلام:
- وأنا استغل طيبتها؟ وهل الذهاب الى العمل يومياً هو خاتم الاحترام الذي لا بد لكل رجل ان يختم به. اعني انه لو كان علي ان احمل حقيبتي كل صباح ولا اعود الا عند المساء، عندئذ اكون موضع احترام برأيك، اليس كذلك؟
كان صوته الرجولي يتميز بنبرة ساخرة. وكانت هولي تشعر شعوراً خفياً بالسعادة لمواجهة صاحب هذا الصوت في جدال حاد. اومأت

برأسها ببعض الحياء ثم قالت:

ـ لا... نعم... لا اعرف. انت تفسر كلامي كيف تشاء.

قالت ذلك وهي تغض طرفها.

ـ لا. انما انت مضطربة وغير واضحة. لقد قررت، قبل الاجتماع بي، اي نوع من الرجال انا، ولأنني صادفت تصنيفك لي، ظننت ان اعتقادك بي هو الاعتقاد الصحيح، وانني رجل غير صالح. لكن علي ان اقول لك شيئاً يا آنسة تمبلتون ولك ان تصدقي كلامي او لا. انا اكنّ كل الاحترام لعمتك ولما تقوم به تجاه الحيوانات. ولذا فأنا لا اكتفي بدفع الايجار لها بل بالقيام بكل ما تطلبه مني هل اوضحت لك موقفي؟

تنهدت هولي طويلاً ثم قالت:

ـ هل انتهيت من الكلام؟

ـ نعم. هل تريدين ان تتحدثي في امر آخر؟

والقى عليها نظرة ثابتة من عينيه السوداوين. ثم سمعها تجيبه:

ـ نعم، فوقاحتك لا تحتمل. من تظن نفسك؟

ـ اجبتك. غاريت نيكولاس. وعندي اسم آخر هو فرنسيس. ويجب ان تعرفي من أنا كي ابرر وجودي معك الآن، أليس كذلك؟

واخذ يضحك ضحكة ساخرة متهكمة.

وهمت هولي برفع يدها لصفعه على وجهه فبادرها مهدداً:

ـ لا. لا تحاولي. لن ادعك تصفعيني. واذا حاولت فسوف تندمين.

ـ وهل تصفعني بالمقابل؟ لا اظنك تتردد في ذلك.

ـ لم اقل ذلك. ولكن اذا كنت مصرة على معرفة ردة فعلي فلم لا تحاولي؟

ترك يدها واخذ ينظر اليها بشيء من التحدي. وشعرت هولي بشيء من الارتياب. ماذا تراه يفعل هذا الرجل؟

وفجأة تجرأت لتقول:

ـ لن المسك. لن اعرض يدي للأقذار.

ـ انت مخلوقة شرسة صغيرة تحاولين القضاء على كل من يتودد اليك.

ـ يصعب علي ان اقوم بذلك خاصة معك انت.

وساد صمت طويل بينهما، لم يقطعه سوى صوت محرك السيارة التي قادتها على طريق ستراثمور وهما يجلسان جنباً الى جنب بدون ان يعكر مزاجهما اي كلام.

رغم الشجار بينهما فقد سرها ان تطوف وتتسوق في القرية ثم تعود لتلتقي غاريت في موقف السيارات. القى غاريت نظرة خاطفة على حقائبها وقال بنبرة غير مبالية:

ـ اشتريت كل شيء؟ لنذهب الآن. لقد قلت اننا لن نتأخر.

وعادا بالسيارة والصمت يرافقهما.

حدث امر غريب حين وصلا الى المنزل. كانت العمة مارغريت واقفة امام الباب ووجهها متجهم على غير عادتها. فأسرع كل من غاريت وهولي اليها بكثير من القلق.

وبادرتها هولي بالسؤال:

ـ ماذا جرى يا عمتي؟ هل اصيب احد الحيوانات بمكروه؟

ـ كلا... ايه... نعم... ادخلا.

تبعاها الى الداخل، ولاحظا أن يديها ترتجفان. بدأت العمة مارغريت بالكلام:

ـ تلقيت مكالمة هاتفية من رجل غليظ.

ثم التفتت الى غاريت وتابعت:

ـ انت تعرف قطعة الأرض التي تخص الضابط ماكوميل. لقد بيعت ثانية وانا لا اعرف المالك الجديد الذي كلمني على الهاتف بعد خروجك من المنزل. انه وقح للغاية. قال ان كلبين من كلابنا قطعا زهور حديقته وان ذلك يشكل تجاوزاً للقانون.

التقطت انفاسها وجلست على الكرسي ثم تابعت تقول:

ـ وبعد ذلك قال لي. . . يا الهي!

ـ ماذا قال؟ اخبرينا.

وبدا القلق على وجه هولي التي جثت امام عمتها لتستمع بكل انتباه. ثم تابعت العمة كلامها:

ـ لا اذكر حرفية ما قاله لي. لكنه اكد عزمه على ان يضع حداً لهذا الأمر.

ثم التفتت نحو غاريت وسألت بشيء من الاستغاثة:

ـ ماذا علي ان افعل الآن؟

وقف غاريت بجانب موقد النار ويداه في جيبه وقال:

ـ اولاً اين الكلبان؟ هل حجزهما هذا الرجل؟

ـ اعتقد ذلك. انهما الصغيران القليلا الحظ. لا بد انه يربطهما في العراء. يا الهي.

واخذت ترتجف فعانقتها هولي محاولة ان تهدىء من روعها.

ـ لا تخافي، يا عمتي. سأذهب اليه واكلمه بنفسي و. . .

وقاطعها غاريت:

ـ لا. سأذهب انا لأكلمه في الأمر.

ساد بعض الصمت فيما العيون شاخصة على غاريت الذي تابع ليقول:

ـ لو ذهبت انت لانتهينا جميعاً الى السجن.

ـ وماذا بامكانك ان تفعل؟

بعد جواب هولي، اخذت العمة مارغريت تنظر اليهما بحيرة وجزع. فقد ادركت ان شجاراً وقع بينهما ولكنها لا تعلم السبب.

ـ يمكنني ان اعيد الكلبين بادىء الأمر. ثم نرى ماذا نفعل. الأمر يستوجب معالجة هادئة. ما اسم الرجل؟

ـ اعتقد الكولونيل رادفورد. نعم. لقد سكن هنا منذ بضعة اسابيع. ولكنني سمعت انه رجل صعب الطباع. الا تظن ان. . .

ـ لا اظن شيئاً حتى الآن. اين تنتهي ارضه؟

وبدا هادئاً لا يحرك ساكناً. وكأن شيئاً من كل الذي قيل لا يثير اهتمامه، مما دفع هولي لأن تشعر شعوراً سلبياً تجاهه. في حين بدا على العمة مارغريت بعض الارتياح وكأن حملاً سقط عن ظهرها. فأجابت غاريت قائلة:

ـ اتبعني لأريك المكان. سنذهب من الطريق الخلفي.

سارا خلفها بين الخضار المزروعة المؤدية الى اشجار السرو الكثيفة. ثم اشارت بيدها وقالت:

ـ ارضه تنتهي هنا، انها مسيجة. لكن السياج مقطوع في بعض الأماكن. انا اعرف ذلك، لذلك هو مغتاظ لأن كلابنا دخلت الى ارضه من الأماكن غير المسيجة.

ـ لا تهتمي لهذا الأمر. هل يقتني خرافاً؟

وفوجئت العمة مارغريت بسؤال غاريت فأجابت:

ـ الخراف؟ لا. ليس الرجل مزارعاً. لديه بعض الخيول وبضعة كلاب. هذا كل شيء.

بدأت هولي تقدر سيطرة غاريت التامة على الموقف، وتأكد ذلك لها اكثر، حين سمعت غاريت يقول للعمة مارغريت:

ـ لا تجزعي، يا آنسة تمبلتون. لن يفعل شيئاً لك. اؤكد ذلك، وطالما انه لا يملك الخراف فلا حجة لديه في كل حال، انا ذاهب الآن لاقناعه باصلاح السياج المحيط بأرضه.

ونظرت العمة مارغريت اليه بشيء من القلق قائلة:

ـ يا الهي! هل انت واثق من كلامك؟

ـ اعدي لنفسك فنجاناً من الشاي وسأعود بعد قليل.

وقالت هولي:

ـ سأذهب معك.

ثم لحقت به وهو متجه نحو اللاند روفر. وتوقف فجأة حتى كادت تصطدم به.

ـ لا، لن تذهبي معي. ستمكثين هنا مع عمتك.

ونظر اليها نظرات باردة. ثم سألته:

ـ ماذا لو رفض ان يرد لك الكلاب؟

ـ ولماذا يرفض؟ في كل حال اذا فعل ذلك سأتصل بقيادة الشرطة وارفع شكوى ضده متهماً اياه بسرقة الكلاب. هكذا بكل بساطة.

ـ سمعت عمتي تقول انه رجل صعب المراس. نحن الاثنين، بامكاننا ان. . .

ـ اسمعي. انه يحاول ابتزاز سيدة عجوز. وأنا لا احب ذلك. سأحاول ان اكون مهذباً الى اقصى الدرجات. ولكن اذا عاملني معاملة سيئة كما كان حديثه مزعجاً مع عمتك فسوف يسمع مني ما لا يرضيه.

ونظر الى هولي نظرة حادة ملؤها الغضب والتحدي. فالتفتت اليه قائلة:

ـ لا تغضب كثيراً. في كل حال سأبقى في اللاند روفر بدون ان انطق كلمة واحدة.

وعلق حانقاً:

ـ انت مصممة على الذهاب معي! تعالي اذن! انا مجنون. اياك ان تنطقي بأي كلمة. افهمت؟

ـ ولا كلمة. اريد ان اراه فقط.

كان صامتاً طوال الطريق، مطرقاً يتأمل كيف سيواجه خصمه العنيد وجاره الوقح.

منزل الكولونيل رادفورد جميل الهندسة واسع الارجاء، حجري البناء. يجمع بين الاناقة والفخامة. سارت السيارة نحو ميل على طريق طويل تحيط به الاشجار من الجانبين، كان غاريت يقود السيارة ببطء. وظنت هولي ان غاريت نادم على تقديمه المساعدة في هذه المسألة، وشكت لحظة في قدرته على مواجهة ذلك الرجل الصعب المراس. ماذا لو تحداه اكثر من ذلك؟

ونظرت اليه فلاحظت كم يبدو قوياً ومصمماً على ما يقوم به.

وخطر ببالها ان شكل غاريت كان كافياً لاثارة الكولونيل، فثيابه رثة وعلامات الغضب بادية على وجهه، وهو غير مكترث باثارة صاحب ذلك القصر الجميل. وتوقعت ان يطردها من السيارة اذا قالت كلمة واحدة. وقررت هولي أن تجلس مكانها بدون ان تقع في اي خطأ.

وما ان بدا المنزل الجميل حتى بادرها بالقول:

ـ يبدو ان صاحب هذا المنزل رجل ثقيل الظل.

ـ نعم ولكن. . .

قبل ان تتابع قاطعها، قائلاً:

ـ اسمعي. . . لقد طلبت منك، بكل تهذيب، ألا تتكلمي. اتركي هذا الأمر لي. افهمت؟

وصل امام المنزل وبدلاً من ان يقف بسيارته امام المدخل، تابع حتى الناحية الخلفية حيث الأسطبل. وهناك شاهدا رجلا يقود آلة زراعية في الحديقة. نزل غاريت من السيارة واتجه نحوه في الحال، والتفت الرجل منتظراً بتهذيب واستفهام. وما ان كلمه غاريت حتى اشار بيده نحو المنزل. لم تسمع هولي ماذا دار بينهما من حديث. لكن علامات الارتياح بدت على وجه غاريت مما حملها على الطمأنينة.

وفجأة دار الرجل حول المنزل وغاريت الى جانبه. تابعا سيرهما حتى غابا عن النظر. وتساءلت هولي ما اذا كان الكلبان هناك. يبدو انه كذلك. وما ان فكرت بأن تفتح باب السيارة لتنزل منها، لتتأكد من الأمر حتى اسرع نحوها كلبان قويان مخيفان، وكأنهما ادركا من تكون. وحين همت بلمسهما سمعت صوت رجل من ورائها يقول:

ـ من أين جئت الآن؟

اجابت بشيء من الحياء ملتفتة نحو الرجل المرتدي لباس العمل.

ـ كنت انتظر في اللاند روفر واتساءل عن مصير الكلبين.

ـ وها هما امامك الآن.

اوما لهما فجلسا على الأرض. واخذت هولي تنظر اليه ثم الى الكلبين، فيما راح الرجل يضحك.

ـ لم اعذبهما. ولكنني وضعتهما في مكان آمن كي لا يسترسلا في التخريب.

ـ ولكن الكولونيل...

فقاطعها مجيباً:

ـ آه! نباحه اسوأ من عضه. اعذريني هذا التعبير. كان شديد الغضب حين رآهما في حديقته. لكن هدأ روعه الآن. وقد رافقت صديقك ليجتمع به.

ـ يبدو ان شدة غضبه دفعته لأن يهدد عمتي.

ـ آه. اذن انت نسيبة السيدة تمبلتون. ومن يكون ذاك الرجل؟ اهو صديق لك؟

اجابت بالنفي. فهي لم تستلطف سؤال الشاب الاشقر البادي في منتصف العشرينات من عمره، والناظر اليها بوجه بشوش وابتسامة عريضة. وبعد لحظات قال لها:

ـ يبدو ان نفيك جاء كما لو انك تقصدينه. في كل حال اعتذر لهذا السؤال.

ـ هو مستأجر عند عمتي. هذا كل ما في الأمر.

ـ فهمت. بالمناسبة، أنا ادعى مايك.

ـ هولي تمبلتون.

تصافحا، واعاد لفظ اسمها بقليل من الاطالة حين قال:

ـ هولي! ما اجمل هذا الاسم.

وابتسمت معلقة:

ـ كنت ادعى هنريتا. ولكنني استصعبت لفظ اسمي في عهد الطفولة، فتحول الى هولي وبات يلازمني منذ ذلك الحين.

ـ رائع! رائع! كان عليك ان تأتي بمفردك. ولو فعلت لقال لك الكولونيل ان تأتي بكلابك ساعة تشائين. صحيح ان عمتك تهتم

بحديقة للحيوانات؟

وتنبهت هولي لمخاطر هذا الكلام فأجابت بكل تحفظ:

ـ ان لديها القليل منها: ثلاثة او اربعة لا اكثر.

وانتبهت ان لا داع لذكر القطط على الاطلاق. وكبرت ابتسامة الرجل وقال:

ـ لا بأس. لا بأس. لن اخبر الرجل العجوز. فهذا افضل لك وله. ثم اذا كنت ستذهبين معي الى العشاء، فلا اريد ان ارى وجهاً غير صحيح من وجوهك.

ـ ماذا؟

لم تصدق ما سمعته اذناها.

ـ قلت اذا كنت ستذهبين معي الى العشاء؟ الا تلبين دعوتي؟ انا لا ارتدي دائماً هذه الثياب. اعدك. ارجوك يا هولي.

ونظر اليها بدفء وحنان، فابتسمت له. كان لطيفاً. قريباً من القلب وليس كسواه من سائر الناس.

ـ شكراً. اود ذلك.

ـ هذا المساء؟

ـ لا. ليس هذا المساء. بودي ان اغسل شعري اولاً.

ـ غداً؟

ـ لا بأس عند الساعة الثامنة؟

ـ سأكون عندك في تمام الثامنة. انا سعيد لحادثة الكلاب والا لما كنت اجتمعت بك ابداً. آه... هذا صديقك.

وتبادلا النظرات فيما غاريت يتجه نحوهما. لم يكن وجهه يعبر عن شيء، لكنه قال لمايك:

ـ اعتقد اننا انتهينا من هذه المسألة:

ـ ثم التفت نحو هولي قائلاً:

ـ لندخلها الى السيارة.

وبعد ان استقر كل من الكلبين في مكانها الخلفيين، تقدم مايك

من باب هولي وفتحه قليلاً ليقول:

- الى الغد، يا هولي.

- نعم. الى اللقاء.

ورافقهما بنظراته وهما يبتعدان بالسيارة عن المنزل. لم يقل غاريت شيئاً. ولتكسر هولي حدة الصمت بينهما سألت غاريت في منتصف الطريق:

- كيف تمكنت من اقناع الكولونيل؟

- لا تهتمي لهذا الموضوع. ولكن انت، ماذا كنت تفعلين؟

سأل بنبرة غاضبة ارتسمت ملامحها على وجهه وفاجأت هولي لفترة وجيزة، ثم اجابت:

- انا . . . ماذا تعني؟

- لا تحاولي ان تمثلي دور البريئة. قلت لك الا تتكلمي وحصلت على وعد منك. كان علي ان اعرف.

- صحيح انني وعدت ان ابقى صامتة. ولكن ماذا افعل اذا كلمني احد. أأجيبه بالايماء؟

وارتفعت حدة غضبها فيما انعطف هو نحو طريق جانبية تنتهي بغابة من الاشجار الكثيفة. وما ان اوقف السيارة حتى التفت نحوها قائلاً:

- لا تلعبي معي بالنار. كان علي الا آتي بك ابداً. غبت عنك خمس دقائق لأعود وأراك تتحدثين مع رادفورد الصغير وتضربين له موعداً!

- من؟

لم تدر عما كان يتحدث.

- لا تكذبي. انا سمعته.

- لا اعني ذلك. انه يعمل هناك فقط.

- آه، صحيح!

اجاب بسخرية واضحة:

- رغم لهجة سكان ونشستر، انه يدعى مايك رادفورد، وهو الابن الاصغر للكولونيل. ولا تقولي لي انك لم تهتمي بمعرفة اسمه قبل اعطائه موعداً. او انك تفضلين ذلك؟

- انا لست مضطرة لأن اسمع منك كلاماً مهيناً. لقد ذكر لي اسمه الأول وظننت انه يعمل هناك.

- فهمت. اذن لكنت رفضت لو علمت من يكون؟

وصمتت هولي. لم تدر ماذا تجيب، وحارت بأمرها، خاصة ان غضب غاريت يوحي لها بكثير من التساؤلات. هل جرى شجار بين الرجلين. وبعد لحظات قالت:

- اليس من الأفضل ان نعود الى المنزل؟ فقد تقلق عمتي لغيابنا الطويل. وقبل العودة اود ان اقول امراً واحداً. لا شأن لك في امر اختياري مايك للذهاب معه الى العشاء، ولا فرق عندي من يكون، أفهمت؟

- انها مسؤوليتي اولاً لكوني اخذتك معي الى هناك.

- اعرف كيف اهتم بنفسي. لقد بلغت الثامنة عشرة من عمري.

- وللأسف لا تتصرفين تصرف الراشدين.

وادار محرك اللاند روفر بغضب وتابع طريقه باتجاه المنزل، كانت العمة مارغريت واقفة على الباب، وما ان وصلا حتى ترجل غاريت ومشى نحوها تاركاً هولي تلحق به مع الكلبين المستعادين. وبادر غاريت مطمئناً العمة مارغريت:

- كل شيء على ما يرام.

اجابت وكأنها لا تصدق ما تسمع:

- امتأكد مما تقول؟ الم يعد. . .

- لا، لم يعد عازماً على رفع شكوى ضدك. في الحقيقة انه افضل بكثير مما ظننا.

- اخبرني كل شيء. سأعد الشاي بسرعة لأعود واستمع الى كل التفاصيل، ايها الصديق العزيز.

كانت تحوم حوله بكل ارتياح، وكأن ثقلاً كبيراً ازيح عن صدرها. بينما وقفت هولي في هذه الاثناء على مدخل غرفة الطعام وكأنها غير موجودة. راحت تراقب غاريت كيف يخاطب العمة مارغريت. ولاحظت تعابير لم تفهمها على وجهه الغجري.

- التقيت اولاً ابن الكولونيل، رافقني الى والده الذي بدا حاد الطباع، لكنه اعتذر مني لما بدر منه على الهاتف. لقد وجد الكلاب حول سريره فجن جنونه واسرع الى مكالمتنا. عرضت عليه ان نعوض له اية اضرار حصلت فقال انها ليست مهمة.

توقف قليلاً عن الكلام ثم ختم قائلاً:

- اخيراً افترقنا على افضل ما يرام.

وعلقت العمة مارغريت:

- انا سعيدة جداً. رغم انني لا احب المزاح كثيراً. ولكن ماذا عن السور؟ اخاف ان يتكرر الحادث مرة ثانية.

- لم يدرك ان السور بحاجة الى اصلاح. لكنه سوف يرسل ابنه مايك ليتأكد من ذلك.

قال هذا ورمق هولي بنظرة فيها شيء من الخبث.

- غاريت، يا عزيزي، ماذا بوسعي ان اقول، انت رائع حقاً. ماذا كنت افعل لو كنت مع هولي وحيدتين.

- كانت هولي تقوم بالدور على ما يرام. خاصة انه لم يكن شريراً كما ظننا، ثم . . .

وتوقف لحظة عن الكلام.

- ثم ماذا؟

- لقد دعانا نحن الثلاثة الى العشاء مساء السبت المقبل.

- ماذا؟

سألت هولي هذا السؤال مع عمتها في آن معاً.

- نعم. اعتقدت انكما ستوافقان على الدعوة بل ستسران لها، فوافقت.

وبعد ان نظر اليهما نظرة اعتذار ساخر سألهما:

- هل اخطأت في قبولي الدعوة باسمكما؟

فأجابت العمة مارغريت وهي منهمكة بتقديم الشاي:

- اكاد اعجز عن التفكير السليم. لكن كان لا بد من قبول الدعوة. شيء لا يصدق؟ لحظة تهديد تليها لحظة تكريم ودعوة الى العشاء. انا محتاجة الى الشاي اكثر منكما الآن. ثم . . . اي ثوب سأرتدي؟

كانت هولي تراقب بدون ان تتكلم. هناك شيء لم تفهمه بعد. يصعب التصديق ان الكولونيل رادفورد قد انقلب بظرف ربع ساعة من الخصم الى الصديق. رغم ذلك فقد فعل. ما الذي دعاه لأن يدعو هذا الرجل الوقح والمريب الى منزله؟ وبدا الأمر برمته كحكم بعيد عن الواقع. وشيء اخر استهجنته، اذا كان كل شيء قد تم على ما يرام، كما قال غاريت فلماذا انزعج من قبولها الدعوة الموجهة اليها من قبل ابن الكولونيل؟ لم تفهم حقيقة ما يجري، كما لم تفهم معالم احتفاظ غاريت بسر ما، والتي لم يتمكن من اخفائها.

٣ - صفعة وعقاب

كانت هولي منهمكة في ري الحديقة، بعد ظهر اليوم التالي حين سمعت صوت سيارة تتجه نحو المنزل وتتوقف امامه. التفتت جانباً لترى التلميذ الصغير، الذي دعته العمة مارغريت، ينزل من السيارة وينتظر اباه ليدخلا معاً. عند المدخل رحبت بهما سيدة البيت وقالت:

- ادخل يا جون. وانت يا سيد ماكدونالد الا تبقى قليلاً لتشرب فنجاناً من الشاي؟
- شكراً، علي ان اذهب الآن. وسأعود بعد ساعة لآخذ جون. هل هذا يناسبك؟
- لا بأس! لا بأس.

واخذت الولد بيدها وعلامات الحياء بادية على وجهه ثم قالت مشجعة اياه:

- تنتظرك في الداخل بعض الكتب الجميلة.

ثم التفتت مسلمة على ابيه:

- الى اللقاء يا سيد ماكدونالد.

ولاحظت هولي تبدلاً اساسياً في تصرفات عمتها. فالاسترخاء والتعب قد غابا ليحل محلهما النشاط والحيوية. وفكرت هولي ان عمتها ستكون الانسان المناسب الذي سيتمكن من مساعدة هذا الولد.

والتفتت هولي نحو منزل غاريت الذي خرج منذ ساعتين تقريباً ولم يعد بعد. انشغل بالها على غيابه الطويل. وغالبها النعاس فاستسلمت له الى ان سمعت وقع اقدام قوية قادمة من بعيد. ما ان استيقظت حتى تبينت ان غاريت عائد الى منزله فتظاهرت انها غير مكترثة للأمر.

بعد قليل سار غاريت باتجاه منزل العمة مارغريت. فقررت الا تتكلم. ولكن اقتراب غاريت من الكلب كازان حمل هولي على الكلام.

- سيد نيكولاس، سيد نيكولاس.
- نعم؟ اتريدينني؟
- لا، ولكن يجب ان اخبرك ان عمتي تستقبل تلميذاً عندها الآن. فهي لا تريد اي ازعاج الا اذا كان الأمر هاماً جداً.
- فهمت.

وتقدم ببطء نحوها ويداه في جيبه. ثم قال بهدوء:

- لا شيء مهم. يمكن الانتظار.

وراح يرمق هولي بنظرات فاحصة مراقباً تفاصيل ما ترتديه من سروال الجينز القديم والقميص المفتوحة ازراره العليا.

- سأعود بعد حين لأراها.

ولاحظت هولي ان غاريت قد بدل قميصه بواحدة اخرى تكشف عن ذراعيه الغليظتين وكتفيه العريضتين. وهو يبدو رجلاً غريب المعالم نحت شكله. رغم ذلك فقد استلطفت قامته الوسيمة. لكنها تأكدت اذ الجو المشحون بينهما ما يزال قائماً. غير انها اكتشفت، وللمرة الأولى، وجهاً آخر له، ثمة خصال اصيلة فيه. فهو سرعان ما يهتم بأمر امرأة عجوز ويندفع لمساعدتها بدون تردد. ربما كانت تشده رغبة القوي في مساعدة الضعيف. وشعرت فجأة بشيء من الحرج وكأنه قرأ افكارها. فتمنت لو يرحل عنها. لكنه لم يفعل. وبعد قليل تابع الكلام:

- عليك ان تضحي القفازات لمثل هذا العمل.

وفوجئت باهتمامه وسمعته متابعاً:

- قد يؤثر الأمر على سهرتك، هذه الليلة، اذا كانت يداك غير ناعمتين وغير نظيفتين.

وابتسم وانصرف.

وكادت هولي تقذفه بالماء لشدة امتعاضها. لكنها عادت والقت نظرة على يديها فشعرت بأنه على حق. فلا بد ان تذهب الى السهرة مع مايك بكامل انوثتها وبيدين نظيفتين ناعمتين.

سمعت الباب يغلق فأحست ببعض الارتياح. وعادت لتتساءل: كيف تمكن غاريت بسهولة من اقناع الكولونيل رادفورد، حتى فاز بدعوة منه الى العشاء؟ وهل يذهب لابساً الثياب التي يرتديها عادة؟ وضحكت في سرها لمثل هذه الافكار.

كانت هولي جاهزة في الثامنة الا ربعاً للموعد المضروب، نزلت السلم لتلتقي عمتها. وكانت ترتدي سروالاً ابيض مطرزاً بخيوط فضية، وهي تفضله وتعرف كم تبدو جميلة فيه. رغم ذلك لم تدرك حقيقة انوثتها البادية من خلال جلدها الأبيض الناعم وشعرها حول وجهها بمعالمه وسماته الدقيقة ولونه الحيوي الناضج. واكتفت بقليل من الحمرة على شفتيها وخديها.

- آه، كم انت جميلة يا هولي، دعيني اعيرك العقد الذهبي. انه يتناسب ولون شعرك.

اومأت هولي برأسها ثم قالت:

- افضل الا استعيره يا عمتي. انه ثمين جداً، واخاف ان افقده.

- لا معنى لهذا الكلام. منذ زمن لم اتحل به وهو يستصرخ من يرتديه، واصر ان تزيني به عنقك.

ثم جاءت به وقدمته الى هولي التي عانقت عمتها شاكرة.

- انت رائعة يا عزيزتي. آمل ان تقضي ليلة سعيدة.

وفوجئت قليلاً حين اخبرتها هولي ان ابن الكولونيل دعاها الى العشاء. وبعد لحظات احاطت عنق هولي بالعقد الذهبي حيث لمع في وسطه حجر كريم بشكل قلب صغير مذهب الاطار. وما ان لمسته هولي حتى سمعت الباب يقرع.

ونظرت اليها العمة مارغريت قائلة:

- لا بد انه وصل. دعيه يدخل يا عزيزتي.

اسرعت هولي لتفتح الباب. واذ بغاريت يطل منه. فتراجعت قليلاً وقالت:

- اوه! تفضل ادخل.

دخل وهو يرميها بنظرات فاحصة مدققة خاصة حين التفت الى يديها. فبادرته:

- لقد غسلت يدي جيداً.

لم يبد اي حرج. وبعد قليل علق بهدوء:

- هكذا اذن، اراك على كثير من الجمال والاناقة.

قالها بدون ان يبدر منه اي مزاح او روح ساخرة كعادته.

- شكراً.

وتقدمت العمة مارغريت لتسأل:

- هل انت بحاجة الي يا غاريت؟

كانت تعلم حقيقة ما يجري بينهما. وان العلاقة متوترة بين

الطرفين. لكنها ادركت ان لا مجال لشجار جديد الآن. وبعد قليل اجابها غاريت:

- كنت اليوم في انفرنس وصادفت متجرا يبيع طعاماً للكلاب باسعار رخيصة. فاشتريت منه خمسة عشر كيلوغراماً. هل اصبت في ذلك؟

- بكل تأكيد. سوف احسم هذه الفاتورة من قيمة الايجار. هل جئتني به؟

- كنت مشغولة حين جئت منذ بعض الوقت. اما الآن فقد تركته في اللاند روفر. وسآتي به اليك ساعة تريدين.

لاحظت هولي ان غاريت قد دخل في تمام الساعة الثامنة، اي في موعد خروجها الى العشاء، فراحت تتساءل ما اذا كان قد تعمد هذا التوقيت. خاصة انه ليس من عادته ان يأتي ليلاً. كما انه لا يبدو مستعجلاً للخروج. بعد قليل سمعت هولي صوت سيارة آتية، فسرقت نظرة منه. وعلق قائلاً:

- يبدو ان رفيقك قد وصل.

- ارجح ذلك.

وانحنت لتأخذ محفظتها فأسرع هو ورفعها عن الأرض ليقدمها لها، ثم قال:

- الطريق موحلة في الخارج. انتبهي من تلطيخ ملابسك.

- سأحاول ان ابقيها نظيفة.

ثم التفتت الى عمتها قائلة:

- لن اتأخر.

- لا يا عزيزتي. وانت يا غاريت ستبقى لنشرب القهوة. أليس كذلك؟

- بكل سرور.

كان غاريت واقفاً الى جانب الباب ففتحه واطل مايك بقامته الوسيمة مرتدياً طقماً رمادياً.

- تفضل. ادخل.

قالت ذلك العمة مارغريت رافعة يدها على شعرها محاولة ترتيبه.

ثم قامت هولي بتعريف الواحد الى الآخر. وبعد التحية والسلام المتبادل قال مايك:

- يسعدني ان اجتمع بك يا آنسة تمبلتون. آمل ان تأتوا جميعاً الى العشاء مساء السبت القادم؟

- نعم يا عزيزي.

كانت جد معجبة بهذا الشاب الوسيم صاحب الوجه البشوش.

- قال والدي ان اطلب منكم المجيء عند الساعة السابعة لأخذ بعض المرطبات اولاً.

- اشكره جزيل الشكر. علي ان اذهب الآن لاتفقد الحيوانات. اذن الى اللقاء عند السابعة مساء السبت.

- الى اللقاء.

والتفت نحو هولي يسألها:

- هل ننصرف الآن يا هولي؟ اراك رائعة هذا المساء.

وخرجا نحو سيارة الجكوار البيضاء. وفيما هو يفتح لها باب السيارة بادرها بالقول:

- كان علي ان اعرف اي لون سترتدين الليلة.

ضحكت هولي واجابته:

- هل تعني ان لديك سيارة لكل لون وذوق؟

- لا ليس تماماً. ولكن لدينا جكوار اخرى بنية اللون. فكرت ان آتي بها ثم جئت بهذه البيضاء في اخر لحظة.

وادار محرك السيارة وما ان سارت قليلاً حتى اخبر هولي عن وجهة سيرهما:

- سنذهب الى مطعم صغير اعرفه يبعد حوالى ثلاثين ميلاً. هناك الطعام ممتاز ثم يمكننا ان نرقص بعد ذلك. هل هذا يناسبك سيدتي؟

- انها فكرة جيدة يا مايك. شكراً.

شعرت انها مرتاحة معه رغم معرفتها القصيرة به. جلست بارتياح على مقعدها فيما راحت السيارة تنهب الأرض نهباً. وتبين ان المطعم الصغير، كناية عن فندق فخم وسط غابة من الصنوبر في مرتفعات نائية قرب انفونس وعشرات السيارات تحيط به من كل جانب. كانت الموسيقى تتسلل ناعمة الى الخارج والأنوار تتلألأ في الفندق وما يحيط به. وسألت هولي بشيء من الدهشة:

ـ اهذا هو المطعم الصغير؟

ضحك مايك وامسك بيدها فيما هي تنزل من السيارة.

ـ تعالي. اريد ان ارى هذا النمش الرائع على وجهك تحت هذه الاضواء.

ونظرت اليه بدلال. ويدها تحاول اخفاء وجهها.

ـ لماذا تعتقدين انني دعوتك الى العشاء؟ انا لا اتحمل ان ارى النمش. وحين رأيتك في الحديقة...

ـ آه، لقد تذكرت الآن، انك دعوتني متلبساً شخصية كاذبة.

ـ لو عرفت من اكون هل كنت تقبلين دعوتي؟ في كل حال انا لم اكذب عليك بشيء. كل ما في الأمر انني تحاشيت ان اذكر اسم عائلتي.

ـ نعم، ولكن...

ـ لا تقولي شيئاً. انا اعرف والدي جيداً حين يغضب. لا افهم كيف تمكن صديقك من ارضائه بهذه السرعة.

وبعد قليل، تابع قائلاً:

ـ حين دخلت مع غاريت الى حيث والدي توقعت شجاراً سريعاً لذلك انسحبت. حينئذ التقيتك في الحديقة. وبعد ان ذهبت مع غاريت والكلبين عدت الى والدي لاراه على الطف ما يكون. ولم ادر حقيقة ما جرى، سوى ان والدي قال ان غاريت شاب راق ولطيف.

ـ انا اعتقد ذلك.

ـ وانا لم اكن لاعتقد ذلك. ولكن يبدو ان هذه هي الحقيقة.

كانا قد وصلا الى مدخل الفندق الرئيسي، ففتح لها الباب ودخلا. ولم يتمكنا بعد ذلك من الحديث الطويل اذ احيطا بجمهور من الاصدقاء والمعارف وكثرت التحيات وحاولت هولي ان تحفظ الاسماء قدر المستطاع وتقرنها بوجوه اصحابها: شارل، ايان، هيلين، فيونا، دوغلاس... كان الجو العام يختصر بمزيج من الوجوه الضاحكة والموسيقى والأضواء والصخب.

استطاب كل منهما الشراب والطعام ثم قاما للرقص واسترسلا فيه حتى منتصف الليل تقريباً. عندئذ قال مايك لهولي:

ـ سأعود بك الى المنزل الآن، اذ لا اريد ان اترك انطباعاً سيئاً عند عمتك بعد دعوتي الأولى لك.

ـ اني مغتبطة الى جانبك. ولكن...

ـ اعلم ذلك. فأنت لم تألفي مثل هذه الأجواء. اليس كذلك؟

اومأت برأسها. ثم اخذ بيدها وودعا سائر المعارف وخرجا ليستقلا السيارة ويعودا الى المنزل.

توقف مايك امام منزل هولي وادار السيارة لتكون على اهبة الرحيل، ثم عانق هولي هامساً في اذنها:

ـ شكراً لك على هذه السهرة الرائعة. هل يمكن ان نتواعد مجدداً وفي فترة قريبة.

اجابت هولي بشيء من الحياء:

ـ سعدت جداً بهذه السهرة يا مايك. وشكراً لك على هذه الدعوة الممتعة. ويسرني ان اخرج معك ثانية. اتصل بي هاتفياً.

ـ سأفعل. تصبحين على خير يا هولي.

انتظرت قليلاً على المدخل لوداعه قبل ان يرحل. ثم دخلت المنزل. خلعت حذاءها واستراحت قليلاً على احد المقاعد في قاعة الجلوس.

وفجأة اطل غاريت من الداخل فسألته هولي على الفور:

ـ ماذا تفعل هنا؟

وأجاب بهدوء:
- اهذه هي طريقة استقبالك لي بعد ان انتظرت عودتك حتى هذه الساعة؟ اتريدين فنجاناً من القهوة؟
وتجاهلت السؤال مبدية كل غضبها بالقول:
- لم اطلب منك ذلك.
- كلا، ولكن كنا نتحدث، انا وعمتك. وبعد ان اخذنا الكلاب في نزهة، لاحظت معالم التعب والنعاس على وجهها فطلبت منها الانصراف. غير انها اصرت ان تبقى مستيقظة حتى تتأكد من عودتك سالمة. فاقترحت عليها ان ابقى انا مستيقظاً وارسلتها الى النوم.
وعلقت هولي غير مكترثة:
- لا مبرر لذلك.
- ربما كنت على حق ولكنها اصرت. ثم انت ما زلت في الثامنة عشرة من عمرك، ومايك يعتبر غريباً أليس كذلك؟
وحاولت هولي ان تضبط نفسها ثم قالت:
- ربما، ولكن تصرفاته ممتازة، اؤكد لك ذلك.
- نعم، نعم، لا شك في ذلك.
كان واضحاً انه لم يكن جاداً على الاطلاق في كلامه هذا.
- هل تقصد امراً معيناً في كلامك؟
- لا، لا ابداً. مجرد تعليق عابر. انه صالح تماماً لأن يكون صديقاً ورفيقاً وعاملاً في الحديقة.
- اجد في كلامك بعض التهجم ولكنني اذكرك بانني حين قبلت الدعوة لم اعرف من يكون. لذا فملاحظتك في غير مكانها.
واحست ببداية صداع بسبب التعب والارهاق. بعد قليل سمعته يجيبها:
- صحيح، صحيح. لقد نسيت ذلك.
لكن ابتسامته الجافة فضحت صدق كلامه. فتحدته بسؤالها:
- الا تصدق كلامي؟

والتقت عيناها بعينيه فشعرت بقوة شخصيته الغامضة فيما كان يجيبها بهدوء:
- انا لا اتهم اية امرأة بالكذب.
- انت تثير فيّ العجب.
وشعرت برغبة لمشاجرة هذا الرجل الغريب الاطوار. فهي لم تلتق احداً مثله بعد. كأن بينهما سلكاً كهربائياً يعكر مزاجها بسرعة فائقة. وادركت انه كان يبادلها هذا الشعور.
وبعد قليل توجه نحوها بملاحظة قاسية:
- اتعلمين انك تضيعين وقتك معه؟
فلم تتردد في الرد:
- اهتم بشؤونك الخاصة.
- طبعاً، طبعاً، ولكن فكرت انه لا بد لك من ان تدركي الحقيقة. فهو ليس قوياً بما فيه الكفاية. انه شاب وسيم ولطيف ليس اكثر. سوف ترين انه يوافقك على كل شيء، فقط ليبقى مسالماً معك. وبعد فترة وجيزة ستكتشفين انك تمقتينه.
- الا تخرج من هنا؟
صرخت بوجهه من شدة غضبها. فهي لم تعد تتحمل ازعاجه وملاحظاته القاسية. لكنها ادركت انها اخطأت التصرف اذ كشفت له ضعفها، مما دفعه الى مزيد من الثقة بالنفس. وبعد صمت قليل، التفت نحوها قائلاً:
- انت رائعة الجمال حين تغضبين. كم يبدو خاصاً هذا المزيج من النمش واحمرار الخدين!
كادت تفقد كل مشاعرها تجاه هذه الوقاحة التي بدرت منه. فما ترددت في ان ترفع يدها وتصفعه. وساد الصمت لثوان عدة. ثم علق غاريت قائلاً:
- منذ زمن وانت تنتظرين الفرصة لصفعي، اليس كذلك؟
- نعم.

لم تتردد في الجواب رغم شعورها المفاجيء بأن رجليها ترتجفان:

- اذن لا تقولي انني لم احذرك حين حاولت ذلك المرة الماضية.

وفجأة دفعها نحوه فقاومت بشدة لكنه تمكن من معانقتها عناقاً طويلاً رغم تذمرها ومحاولاتها الفاشلة للافلات منه. ثم ابتعد قليلاً وظل ممسكاً بذراعيها ليقول بوقاحته المعهودة:

- والآن، الا يعجبك ذلك؟

- دعني ارحل. انت...

وغصت فلم تتمكن من متابعة الكلام. فأجاب معلقاً:

- لا تحلفي. السيدات لا يحلفن. حاولي ان تصفعيني ثانية ليتكرر ما حدث الآن. ثم هل تحسنين التصرف اذا ما تركتك ترحلين؟

- لا! نعم... انت مخيف ومتوحش.

صرخت بوجهه ثانية من شدة الغضب. وبعد قليل افلت ذراعيها. فأحست كم هي منهارة القوى. لكنها عادت لتستجمع قواها بكل انفعال غاضب:

- ارحل من هنا.

- لا تجزعي. سارحل... ساشرب قهوتي في المنزل. فأنا لم اعد اثق بك كي تعدي لي القهوة... الى اللقاء ايتها القطة الصغيرة المفترسة.

لمس رأس انفها باصبعه فدفعته عنها بيد قوية. ثم سمعت ضحكته وهو خارج من المنزل، انتبهت فجأة ان احداً لم يعانقها هكذا بعد. كم انها تمقته.

في اليومين التاليين ظلت هولي ملازمة المنزل. لم تخرج الا الى الحديقة. وحاولت مراراً ان تتجنبه. وكلما اخفقت حاولت ان تكون مهذبة معه، ولاحظت العمة مارغريت توتر العلاقة من جديد بينهما.

كان الجميع منهمكين بالتنظيفات المنزلية يوم السبت. غاريت توكل امر الحديقة والكلاب. هولي انصرفت لمساعدة عمتها داخل المنزل. وفيما هما تعملان قالت العمة مارغريت بكثير من الاهتمام:

- لست ادري كيف سيبدو الكولونيل هذه الليلة. انه غريب الاطوار. ولا اعلم تماماً حقيقة طباعه. سأذهب بعد الظهر الى مزين الشعر وسوف يأخذني غاريت الى هناك.

ثم التفتت الى هولي لتقول:

- ارجو يا عزيزتي ان تعامليه معاملة حسنة هذه الليلة.

وضحكت هولي لقلق عمتها لهذا الأمر.

- لا تجزعي يا عمتي. سأكون السيدة الممتازة. اؤكد لك ذلك. لقد اخبرني مايك، البارحة على الهاتف ان السهرة ستكون رائعة.

- انا لا اعلم لماذا تكرهين غاريت الى هذه الدرجة.

وبعد ان القت نظرات متعجبة حائرة تابعت تقول:

- باستطاعته ان يكون رجلاً مدهشاً.

- فاجابت هولي على الفور:

- ربما بالنسبة اليك يبدو كذلك. وهذا امر طبيعي. اما انا فلا تهتمي بامري.

- ولكن اريد ان تكون علاقتكما ممتازة. ثم، انت لا تستطيعين القول انه كان وقحاً معك هذين اليومين. وفي تلك الليلة التي انتظرك فيها طويلاً لم تتشاجرا، اليس كذلك؟

- لا، ليس تماماً. يمكنك اعتبار المسألة مسألة تضارب في الراي، لا اكثر.

ثم ابتسمت لعمتها وتابعت قائلة:

- لا تهتمي لهذا الأمر يا عمتي. كثيراً ما يحدث ذلك، وفي كل حين.

- انه من برج العقرب، اكيد. هذا ما يفسر الأمر.

- العقرب؟

سألت هولي وكأنها لم تفهم. ثم انتبهت وعلقت:

- آه. انت لا تزالين مهتمة بالابراج؟

- مؤكد. لا بد ان يكون الكولونيل ايضاً من احد الابراج المائية

كالسرطان او الحوت مثلاً. وهذا ما يفسر تفاهمهما السريع.

- لا تنسي انني من برج الحوت. ولا تفاهم بيننا، فأين المنطق في هذا الكلام؟ ولكن لماذا تقولين ذلك وكأنك واثقة كل الثقة مما تقولين. انا لا اؤمن بالابراج. ثم كيف علمت ان غاريت من برج العقرب؟

- علمت ذلك عند اول لقاء لنا. وحين سألته اكد لي ذلك. ان طباعه وشخصيته مطابقة تمام المطابقة لخصائص برج العقرب: قوي البنية، قوي الشخصية ويكتنفه بعض الغموض.

- ولكن لا نعرف شيئاً عنه. أليس كذلك؟

وكأن عمتها لم تسمع كلام هولي، فقالت:

- يبدو انني نسيت ان برجك هو برج الحوت. كم هو برج رائع.

- صحيح يا عمتي؟

وبعد قليل دخل غاريت ليقول:

- متى تريدين الذهاب الى مزين الشعر كي اكون مستعداً؟

والتفتت العمة مارغريت لتسألها:

- اتريدين الذهاب انت ايضاً؟

- لا شكراً.

قالتها بابتسامة رقيقة. فأجاب غاريت بغير اكتراث:

- لا بأس.

ثم تابعت العمة مارغريت كلامها:

- سأذهب عند الساعة الثانية. هذا ما قلته للسيدة ماكراي التي قلما تحافظ على دقة مواعيدها. في كل حال ستتناول طعام الغداء معنا اليوم. سيكون الدجاج جاهزاً عند الساعة الواحدة.

وبعد انصرافه سألت هولي عمتها:

- هل زرته في المنزل يا عمتي؟

- نعم. مرة او مرتين. لماذا تسألين؟

- كنت اتساءل ماذا يعمل؟ اعني لا بد ان يمضي اوقاته بهواية ما. لا يمكن ان يكون عاطلاً عن العمل لا يفعل شيئاً على الاطلاق سوى

مساعدتك حين تطلبين المساعدة.

- لا اعلم يا عزيزتي، حين ذهبت اليه دخلت المطبخ على الفور، لانني كنت آخذ له بعض الطعام. ربما يقضي اوقاته بالمطالعة فلديه الكثير من الكتب. قد يكون طالباً يعد لتخصصه. انه على ذكاء كبير.

ونظرت الى هولي نظرة كأنها تلومها على مثل هذا السؤال الشخصي.

لم تتابع هولي هذا الحديث. ولكنها تمنت لو تعرف اكثر عن هذه الناحية فربما فهمت طبيعة شخصيته الغامضة. وربما ارتاحت اكثر الى هذا الرجل الذي لم يسبب لها سوى الازعاج حتى الآن.

بعد الغداء استحمت هولي بهدوء وسكينة فيما كانت عمتها مع غاريت عند المزين. وبينما هي مستلقية في الماء الفاتر اخذت تفكر بالسهرة التي تنتظرها هذا المساء في منزل الكولونيل، مع عمتها وغاريت ومايك، كيف ستجري الأمور يا ترى، لا شك ان عمتها ستكون جد مسرورة والناس من حولها. كذلك الكولونيل. اما مايك فسيكون مهذباً ولطيفاً، انها تعلم ذلك. ولكن ماذا عن غاريت؟ لاحظت ان نبضات قلبها اخذت تسرع حين فكرت به. يبدو انه لا يحب مايك... رغم انه تغلب على والده. فكيف يكون الليلة؟ كيف سيتصرف في منزل مختلف تماماً؟

وفيما هي تغسل جسمها بالصابون ادركت كم يعني لها ان ترى غاريت الليلة، وكيف سيبدو بهندامه وشكله وتصرفاته. وتضايقت من نفسها لمثل هذا التفكير الصبياني. ماذا يهمها من هذا الأمر. فغاريت ليس مهماً بالنسبة اليها. ليس مهماً على الاطلاق. ولكن نجاح السهرة او اخفاقها متوقفان عليه، بشكل او بآخر. فبواسطته كانت هذه الدعوة. وهو العنصر الرئيسي فيها.

ارتدت هولي القفطان الذي اصرت عمتها عليها لارتدائه كان طويلاً وضيقاً، لكنه دافىء ومريح، ترتاح اليه العين بانسداله الى

الأرض ولونه الازرق وتطريزه الرائع. بدت هولي فيه اميرة من الاميرات الرائعات الجمال.

وفيما هي منهمكة باطعام القطط والكلاب سمعت صوت قدوم عمتها وغاريت خارج المنزل. فتح المدخل فقالت:

- انا هنا في الداخل.

وظنت ان عمتها وحيدة. واذ بغاريت يدخل حاملاً صندوقاً مليئاً بالمعلبات. وضع الصندوق على الطاولة وقال:

- العمة مارغريت في الخارج تتحدث مع شرطي من ستراثمور.

وفوجئت هولي بالأمر:

- ماذا؟

وفكرت بخطورة ما جرى وبدا الخوف عليها فطمأنها غاريت:

- لا تخافي. لا شيء يستدعي القلق.

ونظرت اليه نظرة ارتياب:

- ماذا تعني؟

- اوقفنا على الطريق وطلب الينا نقله بالسيارة معنا فلم نجد بدأ من القبول.

- سأخرج لأرى ماذا في الأمر؟

- ستخرجين هكذا؟

ونظر الى القفطان الضيق فأجابته بسرعة:

- انا محترمة اكثر مما . . .

- اكثر مما يمكنك ان تقولينه عن بعض الناس. لماذا لا تقولين ذلك. اتخافين مني؟

- لا ولكن لا اريد المشاجرة. اتسمح؟

قالت ذلك طالبة ان يفسح المجال لها للخروج. فبقي مكانه بدون حراك.

- ليس الآن. لا يمكنك ان تفعلي شيئاً.

- عليّ ان اصعد الى الطابق العلوي. ارجوك.

- ما انتهيت بعد من اطعام هذه الحيوانات.

ثم اختار واحدة من القطط الشرسة. حملها بيده وقال:

- قد اقتني واحدة من هذا النوع.

فنظرت اليه هولي بشيء من الاشمئزاز.

- لا تستطيع ذلك. هذا لا يجوز.

- ولماذا؟

- ماذا يحل بها حين ترحل؟

- انا لا افهمك. ما الذي دفعك للتفكير بانني سأرحل؟

كيف يمكنها ان تجيب وتبوح بما في قلبها؟ كيف تقول له انه كالغجري، في رأيها، لا يمكنه ان يستقر في مكان. اومأت برأسها بدون ان تنطق كلمة واحدة. وادركت ان شيئاً ما يزعجها وان حضوره يترك اثراً فيها يصعب تجاهله. ليست المرة الأولى التي ينتابها مثل هذا الشعور. شعور يمازجه شيء من الخوف. وفيما هو يضحك اضاف:

- آه. اسمعيني جيداً، انا احب هذا المكان وسأبقى فيه. واذا وافقت عمتك على بيعي المنزل الذي استأجره الآن فسأشتريه منها. ما رأيك يا آنسة هولي تمبلتون؟

٤ - احبه ... احبه

احست هولي ان الأرض تنزلق من تحت قدميها. فهي تكاد لا تصدق ما تسمع.

- لقد فوجئت بهذا الكلام. أليس كذلك؟ اذهبي الآن وأنا أتولى اطعام القطط.

التقت هولي بعمتها وهي داخلة الى قاعة الجلوس:

- يا عزيزتي هولي يوجد في سيارة الضابط ماكليش كلب افغاني رائع. انه تعب وجائع بعد سير طويل لبضعة اميال. ساعد له شيئاً من الطعام ومكاناً لينام فيه.

- سأرتدي الجينز واعود بسرعة.

ظلت هولي لفترة تفكر بما قاله لها غاريت. اذن سيبقى. تضاربت

الافكار في رأسها. قد تكون فكرة مفيدة لعمتي. فهي في السبعين من عمرها وتحتاج الى رجل يساعدها في امور البيت وفي شؤونها اليومية. ولكن من يقوم مجاناً بكل هذه الخدمات؟ لا بد انه يتوقع شيئاً ما مقابل ذلك. ثم يبدو غاريت رجلاً نشيطاً ودقيقاً في اعماله. فلماذا يبقى بدون عمل؟ وكيف يمكن لرجل قوي البنية وقوي الشخصية مثله ان يقضي اوقاته في اسداء خدمات عابرة لامرأة عجوز؟ علامات استفهام عديدة جالت في خاطر هولي وهي لا تعرف لها جواباً. فكرت في ان تخبر عمتها بامر بقاء غاريت. لكنها ترددت واقتنعت بأن هذه المسألة لا تخصها فلا مبرر لاقناع عمتها ببيع المنزل المجاور او عدم بيعه الى غاريت. حاولت هولي ان تنسى كل هذه الافكار المزعجة بالانصراف لمساعدة عمتها.

بعد ساعة تقريباً من اعداد الطعام المناسب والمكان المناسب للكلب الجديد وجدت هولي نفسها بحاجة الى حمام اخر يزيل عن جسمها الاوساخ والعرق ويعيد له نضارته السابقة.

كان الضابط قد انصرف مؤكداً سعيه الجاد لاكتشاف صاحب الكلب الضائع. وكان غاريت، بمساعدة السيدتين حوله، قد هيأ المكان الآمن الذي لا يترك له مجالاً للهرب مهما كان شرساً.

وقال غاريت معلقاً على الكلب الجديد:

- يبدو ان طباعه حادة واعصابه متوترة فهو لم يهدأ لحظة بعد.

واجابت العمة مارغريت:

- وماذا تتوقع منه بعد ان تعرض لحادث اصطدام مع جرافة؟

وعلقت هولي قائلة:

- يا للمسكين. انه ضخم الجسم. ولكن فيه شيء يجعله محبباً اكثر، ومقرباً ممن يعتني به. ماذا ستسمينه؟

- ان تصرفه يذكرني بعم لي توفي منذ زمن. انت لا تدركينه. كنت صغيرة. كان فوضوياً ولم يتمكن من اصلاح نفسه.

وسألت هولي:

- ما كان اسمه؟
- هربرت.
- هربرت اذن. ماذا تقولين يا عمتي؟

وهكذا عرف الكلب الافغاني بهربرت. اخذت هولي تراقب غاريت وهو ينهي عمله في السياج. ثم مسحت جبينها في حين ذهبت عمتها لاعداد الشاي الذي لا بد منه.

بعد ان تفحص غاريت عمله اليدوي، تقدم من هولي قائلاً:
- ها قد انتهيت من عملي وسأستحم الآن. اما انت فأخشى انك بحاجة الى حمام اخر.

وردت بجفاء:
- شكراً. اعرف ذلك.
- بالمناسبة، شكراً لمساعدتك.

وسرقت نظرة اليه محاولة ان تتبين سخريته فلم تجد اثراً لها، فقالت:
- لقد فعلت ذلك من اجل الكلاب.
- اعرف ذلك. ولكن كان علي ان اقوم بعمل مضاعف لولا مساعدتك لي. فشكراً لك.

قال ذلك وانصرف الى منزله. وقفت هولي تراقبه من بعيد. واحست بشعور داخلي دفعها الى ان تتساءل: لماذا يثير فيها دوماً شعوراً عدوانياً؟ ثم لماذا تسمح له بذلك؟ لماذا تتوقع منه دوماً اجوبة قاسية بدلاً من ان تتجاهلها؟ لو تجاهلتها لكان الأمر اسهل. فقد حدث الآن مثلاً بينهما ما يصعب تحديده. ويبدو ان العلاقة المتوترة بينهما قد اثرت فيه ايضاً فكل ما يقوله له معنيان. عيناه السوداوان العميقتان تخبئان خلفهما الكثير من الأمور الغامضة، ناراً داخلية تجعل منه رجلاً خطيراً. عادت هولي الى البيت والاسئلة تتزاحم في رأسها ومشاعرها تتضارب في احشائها. بعد ساعة سيحين موعد العشاء عند الكولونيل وستكون مناسبة اخرى لمحاولة اكتشافها

الخفايا الاخرى الكامنة في شخصية غاريت.

كانت ثياب العمة مارغريت فاتحة الألوان، غير متناسقة كالمعتاد. ولكنها كانت كعادتها، جزءاً لا يتجزأ من شخصيتها الجذابة المرحة. ارتدت هولي فستاناً بسيطاً ازرق اللون وفيما هي تنزل من غرفتها قالت لعمتها:
- تبدين الليلة وكأنك ملكة متوجة ايتها العمة مارغريت!

وبالفعل بدت كذلك. اذ كانت ترتدي ثوباً طويلاً فضفاضاً يتراوح لونه بين الاسود والازرق بأكمامه الطويلة واطرافه المنسدلة حتى الأرض. وعلى عنقها عقد براق تزينه احجار كريمة لا يستبعد ان تكون من الماس. واختالت العمة مارغريت بزيها الرائع لتسأل هولي بشيء من المداعبة:
- اتعتقدين انني سأترك اثراً في نفس الكولونيل؟
- بكل تأكيد.

كان شعرها الرمادي اللون مصففاً بشكل دقيق وانيق على يدي السيدة ماكراي التي وشحته بخطوط زرقاء اضفت على وجهها البشوش مسحة من الكبرياء والعظمة.
- انت خارقة هذه الليلة يا عمتي. انتظري حتى يراك غاريت.

وفجأة اخذت تفكر: كيف سيبدو هذا المساء. لم تنتظر كثيراً حتى تعرف. فبعد لحظات، وكانت الساعة السابعة إلا ربعاً، قرع الباب ودخل غاريت وتوقف قليلاً امام المدخل فيما هما تنظران اليه.

دهشت هولي. لم تتوقع ذلك ابداً. ولم تحد بنظراتها عنه فيما كان يبدي اعجابه بالعمة مارغريت مؤكداً لها مقدار ما بدت رائعة تلك الليلة. اما غاريت فكان يرتدي طقماً رمادياً وقميصاً بيضاء مع ربطة عنق فحمية. ثياب بسيطة وقامة فارعة وشكل وسيم. لاحظت هولي الازرار الذهبية على كمي القميص كما لاحظت تسريحة شعره الأسود التي زادت من اناقته ووسامته. كذلك بدت سمرته اشد مما كانت عليه بالمقارنة مع بياض القميص. اوحت حركته بالارتياح والثقة

بالنفس. في تلك اللحظة ادركت هولي ان غاريت ليس بالرجل العادي. لقد تغير فجأة، لا بملابسه فحسب بل بشكله ومظهره ككل. ادرك هوذلك. وتمكنت هولي من التقاط تلك النظرة الساخرة السريعة من عينيه قبل ان يلتفت نحو العمة مارغريت قائلاً:

- لقد راقبت الكلاب وتأكدت من انها جميعاً بخير. هل نذهب الآن؟

واجابت العمة مارغريت بكثير من الاعجاب الذي حاولت هولي اخفاءه:

- تبدو، يا عزيزي غاريت، على كثير من النباهة.

- شكراً يا سيدتي. لا يمكنني ان اتفرج بدون تقديم العون.

ثم نظر الى ساعته وقال:

- انها السابعة الا عشر دقائق. هل نستقل سيارتك. انها لائقة ومريحة اكثر من اللاند روفر.

- كما تشاء.

القت العمة مارغريت نظرة اخيرة على غرفة الجلوس والمطبخ واعادت عد القطط واوصت كازان وسموكي بحسن التصرف ثم خرج الثلاثة من المنزل.

- يجب الا نتأخر كثيراً في العودة.

قالت ذلك لغاريت في الطريق الى السيارة وهي تنتبه كي لا يتسخ فستانها الطويل.

- قد تكون الساعة الحادية عشرة وقتاً مناسباً للعودة ولا تشكل اساءة لهم، أليس كذلك؟

فتح لها باب السيارة وأجاب:

- كيف يمكن ان تشكل اساءة من كانت مرتدية مثل هذه الثياب.

كاد الا ينظر الى هولي حين اغلق الباب خلفهما. جلس على مقعد السائق وانطلقت السيارة بهم. كانت لحظة مثيرة بالنسبة الى هولي فهي ما تزال تفكر بما تخبئه هذه السهرة لهم جميعاً.

ما ان توقفت السيارة امام منزل الكولونيل حتى كان مايك بانتظارهم. فتقدم ليفتح باب السيارة لكل منهم عند نزوله.

- مساء الخير يا آنسة تمبلتون. اهلاً هولي، غاريت.

صافح الجميع ودهش لمرأى العمة مارغريت. واخفت هولي ابتسامة فيما هم يتوجهون نحو الردهة الكبيرة الملبسة بالخشب، والمدفأة بنار الحطب المضرمة في الموقد. وعلق مايك شارحاً:

- ظن الوالد ان الطقس قد يكون بارداً.

ثم تابع بعد قليل:

- هلا دخلتم قاعة الرسم لشرب المرطبات؟

ودعاهم الى بهو كبير مرتفع السقف واسع كالطابق الارضي من منزل العمة مارغريت. ثم دعاهم الى الجلوس موزعاً عليهم المقاعد:

- تفضلوا اجلسوا. سيأتي والدي في الحال. ماذا تودين ان تشربي يا آنسة تمبلتون؟

اخذت هولي تجول بطرفها فيما كان مايك منهمكاً باعداد الشراب ولاحظت ان غاريت منشغل في تصفح بعض الكتب، التي رآها في المكتبة الممتدة على طول الحائط الأمامي. وكادت تسترسل في نظراتها لولا سؤال مايك لها عما تريد ان تشرب.

- عصير البندورة، من فضلك.

- وانت يا غاريت؟

- كان مايك يقوم بدور المضيف الممتاز.

- اريد ايضاً عصير البندورة. شكراً.

وتناول غاريت كتاباً من المكتبة. تصفحه قليلاً ثم اعاده الى مكانه. وارادت هولي ان تعرف ما هو هذا الكتاب. امر مضحك حقاً... علمت ان الأمر غير مهم... ولكن اي نوع من الكتب كان يحب؟ هل يفضل قراءة الكتب الجدية؟ تذكرت الكتاب الذي كان يطالعه تلك الليلة حين كان ينتظرها في منزل العمة مارغريت.

كان مجموعة قصصية لتشيخوف.

بعد لحظات فتح باب داخلي واطل منه رجل وامرأة، وقف غاريت، والتفت مايك نحوهما، كذلك التفتت هولي وادركت ان القادم نحوهم هو الكولونيل رادفورد، ولكن من تكون تلك المرأة بجانبه؟ علمت من مايك ان والدته ميتة. ولم يخبرها ان والده تزوج ثانية. فمن تكون تلك المرأة؟ كان الكولونيل طويل القامة، ممتلىء الجسم، فتي الشكل رغم شعره الرمادي المسرح جيداً فوق وجهه الوسيم. تقدم الكولونيل وصافح العمة مارغريت التي رفعت يدها بتؤدة للمصافحة في حين قام مايك بالتعريف وتبادل التحيات. وبعد قليل قال الكولونيل:

- انها لسعادة فائقة ان استقبلكم عندي الليلة. دعوني اقدم لكم ابنة اختي، لورا، التي جاءت تمضي بضعة ايام معنا.

تقدمت لورا بابتسامة ساحرة وبثوب اسود مفصل ادق التفصيل على جسمها النحيل. كان غاريت اخر من صافحت حين نظرت اليه بابتسامة خاصة قائلة:

- كيف حالك يا غاريت؟

كانت هولي تراقب والكأس بيدها. بدت لورا في منتصف العشرينات، رغم صعوبة التخمين، شعرها قصير مشدود الى الوراء. طويل نسبياً من الأمام ينتهي بضفائر مستديرة متدلية حول وجهها. عيناها مسمرتان على غاريت.

جلس الكولونيل بجانب العمة مارغريت واخذ يتحدث اليها بكثير من اللباقة. كان يبدو وسيماً ولكن هولي وجدت نفسها منشغلة بمراقبة غاريت ولورا الذين بقيا واقفين يتحدثان. كان مايك جالساً بجانب هولي بعد ان انهى وظيفته كمضيف وهمس باذنها:

- هل كل شيء على ما يرام يا هولي؟

فابتسمت مجيبة:

- نعم. شكراً.

واخذت تنظر نحو لورا وغاريت المسترسلين في الحديث. كانت لورا تمسك بكأسها بكثير من الانوثة والدلال فالتفتت هولي نحو مايك قائلة:

- ابنة عمتك جميلة، أليست كذلك؟

- نعم انها رائعة. شاء والدي ان يعرفها الى غاريت. وهما يشكلان ثنائياً لطيفاً.

اجابت بكل براءة:

- صحيح انهما كذلك.

وفجأة شعرت انها لا تريد الحديث عنهما اكثر من ذلك. وجرعت جرعة كبيرة من الشراب. وتساءلت لماذا كرهت لورا وهي تجتمع بها للمرة الأولى؟

امتلأت القاعة بدخان السيكار الذي كان يدخنه كل من الرجال الثلاثة مع شرابهم. وتقدم الكولونيل من هولي ومايك وتحدث اليهما. كان على كثير من اللياقة واللطف، عكس ما كانت هولي تتوقع، اخذت تبتسم محاولة ان تبدو وكأنها تقضي وقتاً ممتعاً.

كان مايك شديد الانتباه لما يحصل. وحين قاموا للعشاء جلست هولي بينه وبين غاريت على الطاولة المستديرة المزينة بمزهرية من الورد في وسطها.

جلست لورا على الجهة الثانية لغاريت، وبدت هولي وكأنها غير موجودة بالنسبة اليه. اذ كان منشغلاً بلورا طوال فترة العشاء ووجهه الوسيم الأسمر ملتفت نحوها للحديث والضحك معاً وباستمرار.

اما الطعام فكان شهياً، لولا شعور هولي بالدوار والمرض وهي جالسة الى المائدة. لم تعلم السبب. اذ بدت على احسن ما يرام حين نهضوا الى العشاء. حاولت جهدها ان تخفي هذا الشعور ونجحت في ذلك اذ لم يلاحظ مايك شيئاً من هذا.

بعد العشاء عادوا جميعاً الى قاعة الرسم حيث فتحت ستائرها المخملية الحمراء لتكشف عن منظر الحديقة الغنية باشجارها

الباسقة. اطلت هولي على النافذة الكبيرة وما ان شعرت بحركة صغيرة بجانبها حتى قالت:

- احب ان اطوف في ارجاء الحديقة لبعض الوقت.

سمعت صوت سعال مفاجىء ثم صوت غاريت:

- اكيد ليس معي.

وادارت هولي طرفها لتقول:

- ظننتك مايك.

- طبعاً، طبعاً. لكنه ذهب ليعد بعض الشراب.

اجاب بجفاء في حين سألت هولي ببعض الدلال:

- صحيح؟ واين لورا؟

- انا لا اسأل المرأة الى اين تذهب كي لا اجرحها.

- يا للمفاجأة.

اجابت هولي باقتضاب وهي منصرفة عن تلك النافذة. وكل ما رأته آنذاك كان ظلهما على الزجاج ووجه غاريت الساخر الى جانبها.

شعرت انها متضايقة بقربه وان سترته تكاد تلامس ذراعها العارية. حاولت الابتعاد قليلاً لتخفف من ذلك الجو المشحون بينهما. سمعته يضحك قليلاً ثم يهمس في اذنها:

- ها هو صديقك.

وانصرف تاركاً هولي وحدها. انقضت السهرة وحين دقت الساعة الحادية عشرة قالت العمة مارغريت:

- كانت سهرة من امتع السهرات يا كولونيل رادفورد، ولكن اخشى ان اكون قد تقدمت في السن ولم اعد فتية كما كنت.

- ايتها العزيزة! لا اريد ان اسمع انكم ذاهبون.

وقف الكولونيل واخذ الكأس من يدها قائلاً:

- ما تزال السهرة في اولها. ستتناولين كأساً اخر من الشراب.

- لا بأس. لا بأس. ولكن ارجو ان يكون كأساً صغيراً، ثم . . . اعتقد انه . . .

والتفتت الى هولي مستفسرة عن موعد الرحيل. كان الكولونيل قد اعجب بالعمة مارغريت ونسي كل الفروقات بينهما. انه الرجل القوي الذي قرر ان يجمع لورا وغاريت. ولكن لماذا؟ حارت هولي في امرها وامر الكولونيل وغاريت على السواء، خاصة في ما يبديه الأول من حفاوة بالثاني. احست هولي انها مهملة. اخذت تبحث عن مايك الذي كان يعد لنفسه كأساً. وانتبهت الى ان غاريت كان يراقبها. وهو يشعل سيكاراً في حين بدت لورا منحنية لرفع شيء وقع على حذائها. والتقت فجأة عينا الواحدة بالاخرى. وبدت الغرفة وكأن لا احد فيها سواهما. وتلقت هولي رسالة صامتة من عيني غاريت في تلك اللحظة الحرجة. لكنها احست بالفرج حين اقترب منها مايك قائلاً:

- تريد عمتك ان تذهب. اما انت فتمكثين هنا لفترة اطول. أليس كذلك؟ سأعود بك الى منزلك فيما بعد.

ابتسمت له مستلطفة اياه ومرتاحة الى علامات الصداقة البادية على وجهه، وتوقفت فجأة عن الاسترسال في افكارها.

- شكراً يا مايك. ارغب في ذلك، ولكن . . . من الأفضل ان اذهب معها واساعدها في . . . في الاعتناء بالكلب.

- لقد سبق وقلت لك ان لدى عمتك حديقة حيوانات ولن ادع والدي يعلم بالأمر. انظري اليه كيف يسترسل في حديثه مع عمتك.

التفتت هولي الى الكولونيل الذي كان يضحك لنكتة من نكات العمة مارغريت وهو مستلق على مقعده بكثير من الارتخاء. وقدم مايك مزيداً من الشراب لهولي فشكرته معتذرة بلباقة وابتسامة ناعمة.

بعد عشر دقائق قام الضيوف للوداع فصافحوا اصحاب الدعوة وشكروهم لحفاوتهم، ثم عادوا الى المنزل بالسيارة الصغيرة التي قادها غاريت تحت ضوء القمر.

حين وصلوا الحت العمة مارغريت على غاريت بالنزول لشرب

فنجان من القهوة.

- ادخل. ادخل. ستعد هولي القهوة، أليس كذلك يا عزيزتي؟

كانت هولي متعبة. ولاحظ غاريت ذلك فقال بعد قبوله الدعوة:

- سأساعدك في اعداد القهوة.

دخلت المطبخ وهي حانقة عليه وعلى نفسها ولا تريد ان تقوم بأي عمل او جهد.

وبعد لحظات سمعته يقول لها:

- لماذا لا تتركين ذلك لي قبل ان تقعي من شدة التعب؟

رمقته بعينين شاخصتين والغضب يتطاير منهما. ثم وضعت وعاء البن على الطاولة وقالت له بصوت منخفض كي لا تسمع عمتها الجالسة في الغرفة المجاورة:

- لماذا لا تهتم بشؤونك الخاصة؟

أجاب بسخريته المعهودة:

- ولماذا تهمسين همساً. فعمتك نائمة. لقد شربت كثيراً هذا المساء مثلما فعلت انت كما اعتقد.

- لم اطلب رأيك.

اجابت بجدية ظاهرة وهي تراقب غاريت يقفل الباب خلفها بهدوء. ملأت الغلاية ووضعتها على الغاز. وتساءلت لماذا لم يتحرك او يذهب او يفعل اي شيء بدلاً من ان يقف ويراقبها؟ حاولت اشعال الغاز فلم تفلح. واذ بيده تلامس يدها ببطء وتحاول ابعادها وهو يقول:

- انا افعل هذا عنك. عليك بالفناجين الثلاثة.

ووضع يده فوق ذراعها العارية للحظة فخفق قلبها. ثم ابتعدت لتاتي بالفناجين من خزانة المطبخ. كانت تعاني من صداع في رأسها، ومن ألم في حنجرتها. واخذت تسكب القهوة بصورة آلية لا واعية. سقط القليل على الارض في حين علقت عيناه بها وهو يبتسم.

- الأفضل ان تنظفي الارض.

وما ان اقترح ذلك حتى بادرته بالقول:

- آه! لماذا لا تتصرف عني.

وسمعته يضحك ويعلق:

- اذا كان هذا ما يفعل بك الشراب فلن اشتريه لك بعد اليوم.

فالتفتت نحوه قائلة:

- أأنت تبتاع لي الشراب؟ لن اهتم بذلك لأن مناسبة كهذه لن تاتي.

- لا؟ اواثقة انت مما تقولين؟

واتبع ذلك بنظرة متهكمة.

- ماذا تعني؟

- لا شيء. لا شيء.

بدأت الغلاية تصفر. فأطفأ الغاز وقال:

- اصبحت القهوة جاهزة. من الأفضل ان توقظي عمتك بهدوء وانا اتولى تقديمها.

وفوجىء غاريت لاطاعة هولي لكلامه على غير عادتها. لكن هولي اخذت تفكر بان في الأمر مسألة لا تعرف حقيقتها...

بعد ان شربوا القهوة. التفت غاريت نحو العمة مارغريت مبتسماً. وشعرت هولي بان الأمر يبدو مضحكاً.

- سآخذ الكلاب الى الخارج يا آنسة تمبلتون. هل تريدين ان اخذ ايضاً الكلب الافغاني ام اتركه؟

- آه، هربرت؟ لا اعلم حقاً. يبدو انه متعب. ماذا تقترح يا غاريت؟ لا نريده ان يهرب، خاصة بعد ان حظي بمكان يأوي اليه.

- سأطوق عنقه بحبل امسك به. ونزهة قصيرة لن تضيره. عذراً ان ذهبت لأبدل ثيابي ؟ليس عندي سوى هذا الطقم.

وخرج بهدوء مغلقاً الباب خلفه. ثم التفتت العمة مارغريت نحو هولي تسألها:

- أليس الرجل رائعاً ام انك لا تزالين تمقتينه؟

حاولت هولي ان تبتسم، ولكن بصعوبة. وفجأة ادركت سبب ارتباكها في المطبخ حين لمسها غاريت صدفة. ربما كان الشراب هو سبب هذا الارتباك. ولكن عادت لتقول لنفسها.

ـ لا. ليس غاريت رجلاً سيئاً كما كنت اعتقد. على ان اعترف انه كان مختلفاً جداً عن سواه في حفلة الكولونيل هذه الليلة.

ـ وكان مأخوذاً بتلك الفتاة، لورا. انها رائعة الجمال.

ـ صحيح. هي كذلك.

اجابت هولي بدون اي تعبير على وجهها. فهي لا تريد ان تعرف عمتها شيئاً عن حقيقة مشاعرها قبل ان تتأكد من الأمر. واخذت تتساءل هل من الممكن انها ترى غاريت رجلاً جذاباً؟

مر اليوم التالي بدون ان تتمكن هولي من رؤية غاريت. رن الهاتف في المساء وكان مايك على الخط يسأل ما اذا كانت تنوي الذهاب معه لنزهة في السيارة. كادت هولي ترفض طلب مايك، لكنها عادت وقبلت في اللحظة الأخيرة. كان من الأفضل لها ان تخرج مع مايك بدلاً من ان تبقى في المنزل منتظرة غاريت. لكنها لم تشعر بارتياح وغبطة لما تفعل. استأذنت عمتها للخروج مع مايك فأجابت:

ـ بدون شك يمكنك الذهاب معه. فهو يبدو شاباً لطيفاً. اسرعي وضعي البودرة على انفك. متى سيصل؟

ـ بعد نصف ساعة.

واسرعت هولي الى غرفتها وارتدت كنزة من الصوف الأزرق فوق سروال ضيق اسود. وبعد حين سمعت صوت سيارة قادمة وظنت ان مايك قد وصل، اطلت من النافذة ورأت غاريت ذاهباً في اللاند روفر. اذن هو خارج ايضاً في نزهة. ولكن. . . ليس من عادته ان يخرج مساء. ثم ان لورا معتادة على وسائل نقل اكثر اناقة وفخامة. عادت من النافذة مخافة ان يراها غاريت.

حين وصل مايك بعد نصف ساعة استقبلته بابتسامتها المعهودة

ودعته الى غرفة الجلوس.

ـ سآتي بمعطفي.

وتركته يتكلم مع عمتها.

فيما السيارة تقطع الطرقات الجبلية وسط الظلام احياناً، وضوء القمر احياناً اخرى، بدأت هولي تشعر بالسعادة. خاصة وانها تستلطف مايك وتعلم انها ستمضي وقتاً طيباً معه. وفجأة سألته:

ـ الى اين نذهب يا مايك؟

ـ الى النادي الذي ذهبنا اليه الاسبوع الماضي، الا تذكرينه؟

والتفت نحوها مبتسماً، فسألته ثانية:

ـ وهل يستقبل يوم الأحد؟

ـ لا يستقبل رسمياً، لكنه يعد وجبة للمسافرين العابرين الذين يصرون على التوقف عنده.

ـ آه، كان عليك ان تخبرني بالأمر قبل الآن.

وضحك مايك معلقاً:

ـ لا تجزعي. يمكنك الاكتفاء بساندويش دجاج او بيض.

ـ لا بأس، لا بأس.

وانتقلت فجأة بحديثها لتقول:

ـ لورا فاتنة الجمال، أليس كذلك. هل ستمكث طويلاً عندكم؟

ـ لا اعلم بالضبط. قالت انها ستبقى لبضعة ايام. لكنها قد تبقى اطول من هذه المدة. يبدو انها معجبة بجاركم.

ـ لاحظت ذلك.

قالتها هولي محاولة ان تبدو غير مبالية. ثم تابع مايك كلامه موفراً عليها سؤالاً اخر:

ـ لقد دعاها الى السهرة هذا المساء. معظم الرجال يؤخذون بلورا. فلا لوم على جارك.

شعرت بضيق لكنها اخفته وقالت:

ـ وانت؟ الست معجباً بها كذلك؟

ضحك واجاب:

- ابنة عمتي العزيزة تكبرني بأربع سنوات. ثم لست متعالياً بما يكفيها.

حين وصلا الى النادي امسكت بذراعه وهما يصعدان السلم. كان بعض الزبائن يجلسون في الداخل. وفيما هما يقتربان من غرفة الطعام وقعت عينا هولي على غاريت ولورا يجلسان في زاوية هادئة. وتابعت طريقها مشيحة الطرف عن غاريت وكأنها لم تره. لكنها لاحظت انه فوجىء هو ايضا بمرآها.

جلست ومايك في ناحية ثانية وقالت:

- لم اتوقع ان اراهما هنا.

- ولكن لا مكان اخر يستقبل يوم الأحد غير هذا المكان ايزعجك الامر؟

- يزعجني؟ لا، ابداً.

واخذت تشغل فكرها بتساؤلات عدة، هل كان مايك يعلم بمجيئهما؟ هل دعاها لاسباب شخصية ام لاسباب تتعلق بلورا؟

ابتسمت قليلا وهي تبحث عن منديل في حقيبتها وتفكر. بعض النساء يحصلن على ما يرغبن بسهولة تامة، ولم تنتبه ان بعض العيون شاخصة نحوها فيما كانت تشرب عصير البندورة، وهي جالسة على كرسي طويل بكنزتها الزرقاء الجميلة وقامتها الهيفاء ووجهها الناعم. بدت هولي نموذجاً للانوثة والجمال. واخذت تتحدث مع مايك وتبتسم له بدون ان تدرك سر جاذبيتها. كان شعورها يدفعها الى العودة الى عمتها.

وحين انتقلا الى غرفة الطعام كان غاريت ولورا قد انهيا طعامهما ونهضا للخروج فالتقى الاربعة، صدفة او عن عمد، ابتسمت لورا لهولي ابتسامة صفراء وهي متمسكة بذراع غاريت وكأنها تقول لهولي، انه الآن معي. ثم رمقتها، صعوداً وهبوطاً، بعين متعالية وهي تقول:

- انت طيبة يا هولي. أليست كذلك يا غاريت؟

- اكيد. ولا شك.

كانت عيناه مشدودتين الى لورا. ثم التفت نحو مايك قائلاً:

- سنجلس هناك ونتناول بعض المشروب. قد نراكما لاحقاً.

وانصرف كل في طريقه.

جلست هولي الى المائدة والغضب يتآكلها. من يظن نفسه؟ ومن تظن نفسها هي ايضا؟ اكيد ان واحدهما يستحق الآخر، فكرت بذلك بمرارة.

- ماذا تريدين من الطعام يا هولي؟

- آه. لست جائعة، سأكتفي بعجة البيض.

التفتت نحو مايك وعلمت انه ينتبه لغضبها. كان مهتماً بطلب ما يجب من الطعام. وفكرت هي ان تسرع في الانتهاء من الطعام كي لا تمكث طويلاً في ذلك المكان.

حين خرجا من النادي بعد نصف ساعة، كان غاريت ولورا قد سبقاهما الى الخروج.

كان الطقس بارداً في تلك الساعة. شدت هولي معطفها على جسمها واسرع مايك لفتح باب السيارة لها.

بعد بضعة اميال، توقفت سيارة الجكوار فجأة. وكادت شرارات الغضب تتطاير من رأس مايك حين سألته هولي:

- ماذا حصل للسيارة؟

- تصوري ان البنزين قد نفد.

ثم تابع كلامه:

- صحيح! لقد فكرت هذا الصباح ان املأ خزان الوقود لكنني نسيت، وجميع المحطات تقفل بعد ظهر الأحد. عندي فكرة. سأعود الى النادي وابحث عمن يبيعني صفيحة بنزين. هل تنتظرينني هنا ام تأتين معي؟

وقفزت هولي الى خارج السيارة لتقول:

- افضل ان اسير معك بدلاً من ان انتظر هنا.
واخذت تضحك، ثم قالت:
- آه، لو ترى وجهك يا مايك!
- الست حانقة علي؟
واومأت برأسها قائلة:
- لا. قد يحدث ذلك مع اي شخص منا. والسير مفيد في كل حال.
فتح مايك صندوق السيارة واخذ منه صفيحة البنزين ثم امسك بيد هولي وسارا معاً على الطريق. وبعد قليل قال لها:
- تعلمين يا هولي انك فتاة مدهشة، اذ كان بامكانك ان تغضبي لما حصل.
فضحكت واجابت:
- اكيد لا اغضب.
وفكرت في تلك اللحظة ان رجلاً واحداً بامكانه ان يثير غضبها. لكنها لم تجهر بهذه الفكرة، بل قالت:
- هذا ما يحصل معي دائماً، اعني نفاد السيارة من البنزين.
وما ان انتهت من كلامها حتى اقتربت سيارة منها فأخذا جانب الطريق.
وتوقفت السيارة امامهما واطل منها غاريت ليسألهما:
- ماذا حدث؟
فأجابه مايك، واعتذر غاريت لعدم تمكنه من مساعدتهما فالبنزين في سيارته يكاد ينفد هو الآخر. لكنه اقترح ان يدفعا بالسيارة المتوقفة الى مكان آمن حيث يمكن تركها الى صباح الغد. ثم تابع كلامه بعد قليل ملتفتاً نحو هولي:
- في سيارتي مقعدان فارغان ولكن بامكانك ان تجلسي مع لورا على المقعد الأمامي فانتما نحيفتان.
واجابت هولي على الفور:

- شكراً سأجلس في المقعد الخلفي.
ذهب الجميع بسيارة اللاند روفر. وجلست هولي قرب مايك الذي احاطها بيديه الاثنتين. ثم قال غاريت معتذراً:
- سأقود السيارة بكل بطء كي لا تنزعجا في هذا المكان الضيق.
فأجاب مايك على الفور:
- لا بأس. لا بأس... لا تهتم للأمر.
وعانق هولي. كانت السيارة تقطع الأميال الشاسعة بهدوء وسكينة. وقبل الوصول بقليل قال مايك:
- يمكننا النزول هنا.
- مستحيل.
اجاب غاريت على الفور. وعادت الافكار الكثيرة تراود هولي. فغاريت كعادته يتصرف كما يحلو له، ومن الصعب ان يتوقع المرء منه تصرفاً ما الا ويفاجئه بعكسه.
ما ان وصلوا الى منزل مايك حتى همست لورا باذن غاريت الذي ضحك طويلاً ثم اجابها بصوت غير مسموع. فانزعجت هولي لما لمسته من علاقة تكاد تصبح حميمة بين الاثنين وبسرعة فائقة.
توقفت السيارة واسرع غاريت نحو الباب الآخر لناحية لورا. نزل مايك وهولي من السيارة ووقفا الى جانبها وتبادلا كلمات الوداع. وبعد لحظة صمت قال مايك:
- لا بد ان تجلسي في المقعد الأمامي الآن كي تقطعي الأميال الأخيرة من هذه الرحلة بصورة لائقة.
ثم اخذها جانباً ليقول:
- اعتذر لما حدث للسيارة. كدت اضرب على رأسي.
- لا بأس، لا بأس، يا مايك.
كانت عينا هولي مسمرتان على غاريت الذي كان يودع لورا وهي تنفض شيئاً عن كتفه وتقول:
- علينا ان نرحل الآن فبرودة الطقس في ازدياد.

اومأت هولي بيدها مودعة مايك بقامته الطويلة وبنيته القوية، ولورا بانوثتها وقوامها النحيل وعينيها المشغولتين بغاريت، وفجأة ضحكت هولي ضحكة عالية، فسألها غاريت:

- ماذا في الأمر؟

- لا شيء، لا شيء.

تنفست الصعداء وتساءلت ما اذا كان قد تضايق هو ايضاً من نهاية تلك السهرة. لكنها تذكرت انه خرج ورفيقته من النادي قبلها بفترة. وادارت الطرف فجأة نحو النافذة لترى الاشجار والحقول تمر مسرعة من امامها. لن تسترسل في افكارها المزعجة. ولكن. . . هل يمكن لغاريت ان يعانق لورا كما سبق وعانق هولي تلك الليلة؟ لا، يكفي. فهولي تحاول ان تطرد هذه الافكار من رأسها.

وفجأة ادار غاريت وجهة السيارة واخذ طريقاً جانبياً وتوقف في مكان فسيح. فالتفتت هولي مستغربة لتسأله:

- ما بك؟

- اريد ان اعرف ما بك انت. واريد ان اعرف قبل ان نصل الى المنزل، لذلك توقفت هنا. هل انت حانقة لأنني لم ادعك تنزلين من السيارة مع مايك قبل بضعة اميال؟

وصمتت هولي، وتمنت لو يدرك حقيقة امرها. ثم اجابت:

- لا ابداً. اذا كان هذا كل ما توقفت من اجله فالأفضل ان نتابع سيرنا.

- لا. ليس الآن.

وبعد قليل تابع وكأنه يريد ان يقول شيئاً، اي شيء:

- هذه ليلة جميلة. انظري الى هذه الاشجار، الى القمر، أليس المنظر رائعاً؟

كانت هولي قد انتبهت لجمال تلك الليلة منذ ان نزلت من السيارة المتوقفة لتسير مع مايك. سكون ووضوح في الرؤيا. . . لكنها شعرت الآن بأن هذا المنظر الجميل يعني لها اكثر مما عنى سابقاً.

فالتفتت نحو غاريت وهي لا تدري ماذا تقول له:

- صحيح! انه منظر رائع، وجماله يحملني على البكاء.

بعد لحظات من الصمت اجاب غاريت:

- انا اعرف ماذا تعني. يسعدني ان تشعري مثل هذا الشعور، هولي، لماذا نحن نتخاصم على الدوام؟

رفع يده ببطء وجعل اصابعه تلامس خدها برفق شديد.

- لا اريد ان اخاصمك.

- لا اعلم.

وبعد قليل كررت كلامها:

- لا اعلم.

وكانت نبضات قلبها تضرب بسرعة فائقة.

اقترب وجه غاريت نحوها اكثر فاكثر. وبدت معالمه الدقيقة بين الظلمة وضياء القمر. لكنها تعرف تمام المعرفة كل التفاصيل المرتسمة على ذلك الوجه الاسمر الغجري بعينيه الغائرتين وشفتيه الهامستين:

- هولي، انا. . .

وتوقف فجأة ليضمها بذراعيه القويتين وشعرت فجأة ان لا شيء في الوجود سواه. نسيت لورا ومايك وكل انسان اخر. هما وحيدان في العالم. وطال العناق حتى قال لها:

- يا الهي. منذ زمن وانا اريد ان افعل ذلك.

وبعد قليل تابع كلامه فيما كان جاذب ما يشد هولي الى عينيه:

- هل انا في حلم؟ احقاً انك هنا بجانبي؟

واجابت بهمس:

- نعم.

واخذت تلهث بصعوبة وهي تفكر: كيف تحقق كل ذلك؟ لم تكن لتدري. كل ما تعرفه انها تكاد لا تعرف كيف تصف سعادتها. وطال العناق اكثر، هذه المرة. كأنه عناق الى الأبد.

بعد صمت طويل اخذت تسمع لهاثه. فثمة شيء قد بدأ بينهما

ويصعب ايقافه. وفجأة وجدت نفسها تلامس خده بدون وعي منها وبدون ان تدري لماذا. لكنه رفع يدها عن خده وقال بصوت غير مألوف.
- علينا ان نذهب الآن.
وتوقف عن الكلام.
- غاريت، ماذا في الأمر؟
- الا تعلمين؟
وامسك بالمقود بيديه القويتين.
- لا شك اني مجنون. آسف يا هولي. اعتذر منك. كان علي الا المسك. واغمض عينيه والألم باد على وجهه. ثم عاد ليتابع كلامه بهدوء وسكينة وابتسام:
- لا اعلم ماذا كنت تفكرين عني سابقاً. ولكن اريد ان اعرف رأيك فيّ الآن.
وعضت هولي شفتها وقالت:
- الم تلاحظ اني كنت احاول المستحيل للابتعاد عنك؟
- لا. اتعنين . . . اتعني ان ما افكر فيه عنك هو. . .
وضحكت بدلال لتجيب:
- هو صحيح. نعم هو صحيح.
فابتسم وقال:
- في هذه الحال علينا ان نذهب فوراً قبل ان اقع في هواك.
ادار المحرك وكان صوته بالنسبة الى هولي موازياً لصوت آلة موسيقية. كل شيء كان رائعاً في تلك اللحظة. تابعا سيرهما مأخوذين بما حدث فالغبطة والدهشة تغمرهما بعد ان سرت فيهما كالسلك الكهربائي.
وعند باب منزلها قالت له:
- هل تدخل لتشرب فنجاناً من القهوة؟
واجابها على الفور:

- وهل تحاولين اغرائي؟
- نعم.
- اذن لا خيار لي. ابقي حيث انت.
وخرج غاريت بسرعة من السيارة باتجاه الباب الآخر حيث تجلس هولي، وامسك بيدها لتنزل من السيارة. قفزت منها قفزاً، وتقدما نحو المنزل ثم فتح لها باب المدخل مفسحاً المجال لأن تدخل قبله. شعرت هولي وكأنها في حلم جميل يطول ويطول وضحكت لوجه عمتها المرتسمة عليه علامات الدهشة والاستغراب.
لم تستطع هولي ان تنام تلك الليلة. اسندت رأسها على كفيها واخذت تستعيد كل ما حدث في تلك الليلة منذ اللحظة التي تكلم فيها مايك على الهاتف حتى اللحظات السعيدة في اللاند روفر. اغمضت عينيها وهي تستعيد تفاصيل لقائها مع الرجل الذي تحب. انها الحقيقة الساطعة التي يصعب عليها ان تتنكر لها بعد اليوم. وهمست هولي وسط الظلام.
- احب غاريت. احبه.
عندئذ استراحت لهذا الاعتراف الذاتي وتمكنت بعد ذلك، من ان تنام ملء عينيها.

٥- بلا قلب

كان يوم الاثنين معداً للتنظيفات المنزلية، لم تستطع هولي اخفاء سعادتها في ذلك النهار. عملت بجد ونشاط وحيوية. كانت تغني وهي تعمل وتنتقل من مكان الى آخر في المنزل. وأخذت تفكر متى ترى غاريت الذي لم يمكث طويلا في الليلة السابقة. ما ان أنهى فنجان القهوة حتى انصرف. رافقته الى الباب الخارجي وهناك لمس خدها بأصابعه التي أبدت كثيراً من الرفق الى وجهها.

- تصبحين على خير، يا هولي. نوماً هنيئاً.

ظلت واقفة على الباب تراقبه وهو يبتعد. وبعد قليل أومأ لها بيده مودعاً من بعيد وسط الظلام.

كانت العمة مارغريت ترى كل ما يحصل. ففضّلت الصمت

والابتسام. فاقتربت منها هولي وهمست قائلة:

- كنت مخطئة بالنسبة الى غاريت.

ولم تسألها عمتها أي سؤال. فأدركت هولي حكمة العمة مارغريت في اصرارها على الصمت. وبعد لحظات غيّرت الحديث بقولها لهولي:

- انا ذاهبة الى القرية. هل تريدين شيئاً يا عزيزتي؟

- لا. شكراً يا عمتي.

اقترب الكلب كازان من الثياب وأخذ قطعة بفمهِ وهرب مستدرجاً هولي لأن تلعب معه.

- يا للكلب اللعين.

ولحقت به راكضة من مكان الى آخر في الحديقة الى أن أطلّ غاريت وأوقف الكلب وأخذ قطعة الثياب من فمه. ثم التفت نحو هولي وقال لها من بعيد:

- آسف. كنت ذاهباً لأرى الكلب الأفغاني واذا بكازان يقفز أمامي.

واقترب منها وسلمها قطعة الثياب قائلا:

- يبدو انها بحاجة الى الغسيل ثانية.

- نعم. شكراً.

شعرت بارتباك فرفعت شعرها بحركة عصبية ولاحظت لأول مرة، حناناً بادياً في عينيه، حناناً حاراً وشيئاً آخر لا تعرف ماذا تسميه.

- سأذهب اليوم الى ستراثمور. هل تبغين مرافقتي يا هولي؟

- أرجوك.

قالتها قبل ان تفكر بما تقول. فابتسم غاريت وقال لها قبل ان ينصرف:

- لا بأس سأخبرك عن موعد ذهابي.

انهت اعمال المنزل بسرعة، الغسيل، الاهتمام بالحيوانات،

ترتيب غرف النوم والاستقبال. وكادت تبدأ بعض الخياطة لو لم تقع عيناها على صورة قديمة لوالديها أخذتها لهما يوم كانت في العاشرة من عمرها. وتداعت الأفكار بسرعة في رأسها: تذكرت الماضي بأيامه الحلوة والمرة. كان جيمس تمبلتون يملك محلا لصنع الأزياء النسائية، ولتوزيعها على محلات البيع الكبيرة والصغيرة في مانشستر. كانت هولي تسكن مع أهلها في ضواحي المدينة حيث أمضت طفولة سعيدة. وبعد مدة بدأت الأمور تتغير والحياة تتعقد.

واسترسلت في أفكارها، والصورة القديمة في يدها: لو كانت تدري ما كان يحصل لكان الأمر أسهل. ولكن حاول أهلها ان يخفيا عنها الحقيقة، فشعرت بضياع كبير وعدم استقرار مقلق.

كانت العائلة قد انتقلت من منزل كبير الى آخر متواضع. «تقاعدت» الخادمة وكذلك الرجل الذي كان يهتم بالحديقة. ثم أقفل والدها عمله وبدأ يكتب العديد من الرسائل وكانت هولي، الطفلة، تراقب كل ذلك بخوف وجزع بدون ان تدري ما كان عليها ان تفعل. ولم تدرك الحقيقة الا بعد ان بلغت الخامسة عشرة من عمرها وبعد ان رأت والدها ميتاً في مرآب السيارات والبندقية الى جانبه. قالت الأخبار ان الحادث وقع قضاء وقدراً. ولكن هولي عرفت كل شيء من امها. فقد أخبرتها امها عن مدى الانسحاق وانكسار النفس الذي عانى منهما والدها في المدة الأخيرة، بعد ان تراجع عمله حتى الافلاس والتوقف بسبب مضاربة الأسعار. تراكمت الديون على جيمس تمبلتون وعبثاً حاول الوقوف بوجه المضاربين الممثلين بشركة نقيل غرين المليونير الذي بدأ من الصفر منذ نحو عشر سنوات. وتذكرت هولي كلام والدتها الباكية: «احفظي هذا الاسم جيداً، ولا تنسي انه قتل والدك».

وأحست هولي بقشعريرة باردة ثم نهضت بهدوء وأعادت الصورة القديمة الى مكانها وذهبت الى المطبخ. كانت بحاجة الى فنجان من القهوة كي تزيل به مرارة تلك الذكريات. كيف يمكنها ان تنسى ذلك

الاسم، ومؤسسته التجارية مزدهرة ومنتشرة في كل الأنحاء وتتناولها الصحف بالمقالات التي تؤكد فيها قدرة تلك المؤسسة على مزاحمة الاميركيين في أحدث اساليبهم التجارية. ولكن ذلك الرجل بقي بالنسبة لهولي، الانسان الذي حطم والدها لأنه كان عقبة في طريقه.

شربت قهوتها. وبعد قليل عادت عمتها، ثم جاء غاريت ليسألها ما اذا كانت بحاجة لشيء ما من ستراثمور. وفيما غاريت والعمة مارغريت يتحدثان اسرعت هولي الى غرفتها لتسرح شعرها وترتدي معطفها.

التقت عيناه بعينيها وهي تنزل من غرفتها لاهثة بخدين ورديين. وابتسم غاريت ليسألها:

ـ أحاضرة؟

ـ نعم.

وأمسكت بحقيبتها وودعت عمتها:

ـ الى اللقاء يا عمتي الحبيبة.

ـ الى اللقاء. وأنت يا غاريت، اياك والسرعة. ثم لا تنس شراء طعام للكلاب. عليّ ان أبدأ بالتخزين لموسم الشتاء. هل لديك ما يكفي من النقود؟

أجاب بسرعة:

ـ اطمئني فلن اسرع في قيادة السيارة، ولديّ النقود الكافية.

ـ حسناً. اذن يمكنكما الذهاب الآن.

وأمسك بيد هولي فيما هما يمشيان نحو السيارة وفتح لها الباب ودخلت ثم تبعها من الجهة الأخرى.

انتبهت هولي انه بدأ يعتني اكثر بهندامه. لكن النظرة الغجرية ظلت حاضرة. وأدركت هولي ان سعادتها تفوق كل هذه التفاصيل. فاستلقت على مقعدها بارتخاء. وكانا يتبادلان النظرات في طريقهما الى القرية المجاورة. وبعد قليل سألها:

ـ هل تشعرين بالبرد؟

فضحكت وأجابت:

ـ لا . انها قشعريرة عابرة، ليس اكثر .

وبدا متردداً في ما يريد قوله، ثم قال:

ـ اسمعي، لدي مشكلة صغيرة.

ـ ماذا في الأمر؟

ـ من المفترض ان اجتمع بلورا يوم الخميس.

ـ نعم؟

ـ ولست أدري كيف اتخلص من هذا الموعد.

ولاحظت هولي ان تردد غاريت في هذا الكلام ليس من طبعه.

ثم أجبرت نفسها على الابتسام وقالت:

ـ لا أرى مشكلة في ذلك. أذهب الى الموعد.

ـ لماذا لا تأتين مع مايك ايضا؟

وحارت في أمرها:

ـ هل باستطاعتنا ذلك؟

ـ سأرى.

كان على هولي ان تدرك ان ثمة شيئاً سيسيء الى. . . الى ماذا؟ لم يحصل بينهما اي كلام محدد ملموس. كل ما في الأمر انهما تعانقا ذلك المساء فتخيلت ما يمكن ان تخبئه الحياة لها. وانتبهت في تلك اللحظة انها تكن شعوراً دفيناً بالغيرة نحو لورا التي تمقتها. ستتذكر هذا الحديث بينهما وستدرك السبب لتردد غاريت. اما الآن فعليها ان تتناسى لورا وهما في الطريق الى ستراثمرر. وقد نجحت في ذلك الى حد بعيد.

قضت ساعات ممتعة مع غاريت في القرية وتنقلت في شوارعها وأسواقها معه، وهي تحيي أهلها البسطاء الذين كانوا يخفون ابتسامة الفضول حين يرونها تسير الى جانبه. بعد جولة التسوق جلسا يرتاحان في مقهى على الرصيف حيث شربا القهوة مع الكعك. وفيما هما خارجان صادفا بائعاً للحلى النسائية فاشترى غاريت لهولي سلسلة

ذهبية يتوسطها حجر فيروزي اللون يتكىء على صفيحة فضية مستديرة.

ثم علقها في عنقها قائلا:

ـ فكري بي كلما تحليت بها.

خرجا من ذلك المكان وهولي ينتابها شعور بالارتياح التام. اذ لم تدرك آنذاك ان تلك اللحظات السعيدة ستكون آخر ما تعرفه من السعادة لفترة طويلة قادمة.

حين عادا الى المنزل كان صندوق اللاندروفر مليئاً بالمعلبات والأطعمة المجففة للكلاب والقطط. وبعد ان افرغ الصندوق وجدت هولي صفيحة من البنزين في احدى الزوايا. حملتها واذ بها مليئة، فقالت لغاريت متسائلة:

ـ ظننت ان صفيحة البنزين معك كانت فارغة مساء الأحد الماضي؟

ـ صحيح؟ يبدو انني نسيت تماماً.

وأدركت هولي ما في الأمر. وشعرت بالسعادة تغمرها من جديد. اذ يصعب عليها تصديق ما يجري.

حملا الأغراض الى المنزل بصمت. وفي المطبخ اخذا يرتبان الكمية الجديدة من الأطعمة، كل غرض في مكانه: المعلبات، الأكياس، المجففات. . . ثم التفت غاريت الى العمة مارغريت التي كانت تساعدهما وقال:

ـ انت منظمة في عملك، يا آنسة تمبلتون، ولكن هل هذا الأمر ضروري؟

أجابته العمة مارغريت قائلة:

ـ لو قضيت الشتاء الماضي معنا لما سألت هذا السؤال. اذ لا يمكنك الخروج من المنزل حين يحاصرك الثلج على علو ستة امتار.

ـ فهمت. عليّ الآن ان أتدبر امري وأبدأ بالمواد الغذائية الضرورية. هل من اقتراح تقدمينه لي؟

ـ اشرب الشاي اولا ثم نتحدث في الموضوع.

انتهوا جميعاً من ترتيب المعلبات ثم انتقلوا الى غرفة الجلوس.

في المساء احتاجت العمة مارغريت الى صحف قديمة تستعملها للقطط. فتقدمت هولي لتقول:

ـ هل اذهب الى غاريت وأسأله ما اذا كان عنده صحف قديمة؟

ـ لا حاجة لذلك. ففي غرفة النوم بعض الأعداد القديمة. اكره ان ارميها، ففيها مقالات مفيدة ولكن لا أجد الوقت لمطالعتها.

وفكرت هولي: لن تتغير العمة مارغريت ابداً. وقبل ان تدخلا للنوم، جالت هولي للمرة الأخيرة في البيت لتتأكد من ان القطط في مكانها، وليست موزعة في الغرف.

ذهبت العمة مارغريت للنوم. وجلست هولي قرب الموقد مرهقة من عمل النهار. كان بجانبها فنجان من الشاي وبقربه رزمة من الصحف القديمة. اخذت تشرب الشاي وتتصفح احدى المجلات وفجأة وقعت عيناها على صورة غاريت مع رجل آخر متقدم في السن.

كان غاريت في هذه الصورة شديد الأناقة كالرجل الذي الى جانبه. ولاحظت شبهاً بين الرجلين، كما لاحظت انهما في غرفة فخمة رائعة الجمال. وبدأت هولي تقرأ الشرح تحت الصورة: «غاريت غرين مع والده نفيل. المليونير وصاحب الشركة المعروفة باسمه».

ولم تصدق ما قرأت. ففي هذا النهار بالذات وقعت عيناها على الصورة القديمة وما أثارته من ذكريات أليمة. لا، غير صحيح ولكنها الحقيقة بعينها. عضت على أسنانها كي لا تبكي ووضعت يدها على فمها وهي تقرأ عنوان ذلك المقال: «كيف يكون ابن المليونير».

في المقال صور اخرى لأثرياء آخرين مع ابنائهم. ولكنها أسرعت لتقرأ عن: «غاريت فرانسيس نيكولاس غرين، ابن الثري الشهير نفيل غرين. لا يشارك والده حياة الترف واللهو ولا يرافقه الى سباق الخيل واليخوت. انه يفضل الحياة البسيطة...».

لم يعد باستطاعتها القراءة. احست بدوار مفاجىء وألم في رأسها يكاد يدفعها الى الصراخ. لكنها أسرعت لتغسل وجهها وتستريح قليلا من وقع الصدمة. وتذكرت بسرعة صورة الكولونيل، جارهم، وأدركت الآن لماذا تمكن غاريت من اقناعه بلحظات معدودة. بالطبع... فالكولونيل علم من يكون هذا الشاب.

أخذت تمشي في المنزل وهي تفكر: منذ ساعات كان غاريت يعانقها. نعم غاريت غرين ابن نفيل، ابن الرجل المسؤول عن موت والدها. ثم عادت وقلبت في تلك المجلة لترى صورة غاريت من جديد وتلقي نظرة ثانية على الرجل الواقف الى جانبه. سيشبه غاريت والده بعد ثلاثين عاماً، اذ تمكنت هولي من ان ترى قسمات غاريت مرسومة على وجه أبيه. النظرات اياها والسمات عينها. وفجأة اجهشت بالبكاء. بللت دموعها صفحات عديدة من المجلة. وكم فركت شفتيها بأصابعها، في تلك اللحظات الأليمة، أرادت ان تمحو كل أثر لعناق الخيانة. كيف يجرؤ على ذلك بكل قحة. ما غايته من ملاطفتي؟ ربما يحلو له ان يستمتع بآخر ضحايا ابيه. حارت هولي في امر ذلك الشاب.

فتحت هولي باب المنزل بعد منتصف الليل فلفحها البرد القارس. لكنها لم تكترث للأمر، اذ انها لم تشعر بالبرد في تلك الساعة، بسبب الحرارة المتأججة في داخلها. توجهت على الفور نحو منزل غاريت والمجلة بيدها.

طرقت الباب فأجاب بصوت مرتفع:

ـ أدخل.

انتظرت قليلا أمام المدخل وهي ترتجف. وبعد لحظات اطل غاريت وقال:

ـ مساء الخير يا هولي، لماذا لم...؟

ـ قل لي، يا غاريت نيكولاس غرين، قل لي الى متى كنت تنوي ان تقضي وقتاً ممتعاً معي؟

وفجأة تغيرت ملامح وجهه. هل كان يريد ان ينكر ذلك؟ ربما للحظات. وبعد قليل اجابها قائلا:

ـ ادخلي يا هولي، انا. . .

وما ان هم بلمسها حتى صرخت بوجهه:

ـ اياك ان تلمسني.

ثم تابعت بهدوء وضبط أعصاب:

ـ لن أدعك تلمسني بعد اليوم.

ونظرت اليه والدموع تملأ عينيها:

ـ أريد ان أعرف لماذا؟ فقط قل لي لماذا؟

وبيد مرتجفة قدمت له المجلة قائلة:

ـ خذها واقرأها.

وانصرفت عائدة الى منزل عمتها محاولة ان تتمالك نفسها كي لا تنهار أمامه. وما ان وصلت الى المدخل حتى فتح الباب امامها. كان غاريت يمشي خلفها. وما ان دخلا حتى قال لها:

ـ دعيني أشرح لك، أرجوك.

ـ ماذا تريد ان تشرح؟ هل انت غاريت غرين ام لا؟

ـ نعم أنا هو، ولكن أريد ان أقول لك. . .

ـ ماذا تريد ان تقول لي؟ هل تريد ان تعتذر مني لأن والدك قد قتل والدي؟ أم انك ستدعي عدم معرفتك بالأمر؟

ـ اسمعيني، يا هولي، أرجوك اسمعيني. قولي ما تشائين ولكن بعد ان أشرح لك.

ـ نعم. اشرح لي لماذا غيرت اسمك ولماذا طلبت من الكولونيل ان يبقيه سراً. . . انا لست غبية. فهمت الآن لماذا اهتم بك الكولونيل كل هذا الاهتمام. ولماذا ذهبنا جميعاً الى العشاء في تلك الليلة.

وما ان حاول لمسها حتى انتهرته قائلة:

ـ لا، لا، انت تسيء الى مشاعري.

ـ اسمعيني يا هولي. صحيح ان الكولونيل عرفني فهو يعرف

والدي. ولكن لم يكن لدي اي خيار آخر، ولو مؤقتاً ريثما اجد طريقة اخبرك فيها الحقيقة.

وبعد ان تبادلا النظرات تابع كلامه:

ـ أردت ان أخبرك الليلة الماضية. أردت ان اخبرك اليوم في ستراثمور، ولكن. . .

ـ أرجوك لا تكمل. اذهب عن وجهي.

شحب لون وجهها. وشعرت انها مريضة ومرهقة بحيث لم تعد تقوى على الوقوف اكثر من ذلك. ولكنها لا تريد ان تبدي اي ضعف امام هذا الرجل الخصم، هذا الرجل العدو.

كذلك شحب لونه هو ايضا. فبدا شعره اكثر سواداً من ذي قبل.

نظرت اليه نظرة خاطفة لتقول:

ـ لماذا لا تذهب وتغادر هذا المكان؟ نحن لا نريدك بعد اليوم.

ثم انتزعت السلسلة الذهبية من عنقها ورمتها على السجادة مع الحجر الكريم وقالت:

خذ هذه ايضا. فأنا لا أريد شيئاً منك.

وأدارت ظهرها وصعدت السلم بدون ان تلتفت اليه.

تأخرت هولي لتستيقظ صباح اليوم التالي. كانت الساعة العاشرة تقريباً حين نهضت من فراشها منهارة القوى. وما ان وصلت الى غرفة الجلوس حتى رأتها العمة مارغريت فسألتها:

ـ يا الهي، ما بك يا ابنتي؟

وانهارت الدموع على خديها ولم تتمكن من الكلام، فتابعت العمة:

ـ اخبريني، ما الأمر؟

وبعد فترة من البكاء، تنهدت هولي وتنفست الصعداء ثم اخبرت عمتها كل شيء. اخبرتها عن المجلة وعن حقيقة غاريت وعن صدامها معه.

ـ ولم يتنكر لذلك ابداً.

انهت كلامها بهدوء وسكينة. ثم علقت عمتها قائلة:
- آه يا ابنتي العزيزة. ماذا يمكنني ان أقول لك؟
وأغمضت عينيها وكأنها هي الأخرى تتذكر الماضي الأليم بحزن وحرقة. وبعد قليل اقتربت من هولي وأخذت تمسّد لها شعرها بحنان الأم ورفقها. ثم قالت لها:
- ربما قال الحقيقة، بأنه فكر مراراً ان يطلعك على حقيقة امره. كان عليك ان تدعيه...
فقاطعتها هولي:
- ألا ترين؟ ماذا يمكن للكلام ان يوضح امام الوقائع؟ انه غاريت غرين. ووالده سعى لتحطيم والدي. اي شيء بعد يغير هذه الحقائق؟
ثم امسكت بيدي عمتها راجية:
- ارجوك، دعيه يرحل. انا اكرهه اكثر مما يمكنني ان اعبر بالكلام.
أومأت العمة مارغريت برأسها مجيبة:
- عليّ ان أراه.. سأذهب بعد ان اعطيك فنجاناً من الشاي.
وما ان وقفت حتى قرع الباب فأجابت:
- ادخل.
علمت هولي ان الطارق هو غاريت فأسرعت الى غرفتها قبل ان تراه. كان قد دخل المنزل فيما كانت تتسلق السلم فلم تلتفت اليه. لكن رغبة ملحة في داخلها اخذت تتضح عندها بقصد ايذائه. ولم يكن بامكانها مقاومة تلك الرغبة.
سمعت صوت غاريت وصوت عمتها وهما يتحادثان. جلست على سريرها ووضعت رأسها بين يديها ولاحظت ان جسمها بدأ يرتجف. ظلت هكذا نحو عشرين دقيقة. وبعدها جاءت العمة مارغريت لتقول لها انه ذهب.
- انزلي من غرفتك لأعد لك بعض الطعام.

وحين نزلت الى المطبخ كانت عمتها منهمكة باعداد وجبة خاصة لها، قدمت الزبدة مع الخبز المحمص وقالت:
- سأعد لك البيض المقلي.
- ولكن لا شهية عندي للطعام.
- عليك ان تأكلي والا فستمرضين.
بعد قليل ذكرت هولي عمتها برغبة غاريت في شراء المنزل الذي يقطنه. ثم سألتها:
- هل سيشتريه؟
- لا.
وبعد قليل من الصمت قالت:
- هل تعنين انه لن يشتريه؟
- لا، يا عزيزتي، لن يشتريه ولكن قلت له ان بامكانه ان يبقى.
- ولكن... ولكن لماذا؟
- لقد اقترح ان يرحل. انه يبدو غريب الأطوار. ولكن بعد ان تحدثت معه، فكرت انه لا يجوز ان ادعه يرحل هكذا، ايا كان والده. لو فعلت ذلك لما ارتاح ضميري طوال حياتي. على كل حال انا اثق به وبتصرفاته.
وأجابت هولي بهدوء:
- لا! اذن عليّ انا ان ارحل.
وتغير صوت العمة مارغريت فجأة وقالت بنبرة حاسمة:
- لا لن ترحلي.
وشعرت هولي بأن عمتها تعني ما تقول. ثم سمعتها تتابع كلامها:
- ستبقين هنا انت ايضا. انت لي. ولا يمكنني أن أبقى وحدي في المنزل هذا الشتاء. انا بحاجة الى رفيقة. وقد بدأت اشيخ. ربما اصبحت انانية ولكن ارجوك يا هولي ساعديني، هل تتركينني بسبب رجل ما، بل بسبب خطأ ارتكبه والد ذلك الرجل؟

واومأت هولي برأسها ببطء لتقول:

ـ سأحاول. . . سأحاول.

فابتسمت العمة مارغريت وعادت تقدم لها البيض المقلي.

ـ هذا يكفيني الآن. تذكري دائماً انني احبك.

وفكرت هولي ان عليها ان تشغل نفسها كي تنسى غاريث. فآلامها مضاعفة بسبب ما حدث بينهما في تلك الليلة قبل ان تكتشف حقيقة الأمر. بعد ان انهت طعامها ذهبت الى الحديقة حيث اعتنت بالحيوانات، بطعامها ونظافتها وأماكن نومها. كانت تعمل بحيوية ونشاط وتفكر بما قالته لها عمتها عن غاريث بأنه على خلاف مع والده بسبب الاختلاف العميق في شخصية كل منهما. فهو لا يشاطر أبيه في حب الثروة والسلطان. كادت هولي تقتنع بهذا الكلام ولكن تساءلت ما اذا كان صادقاً في حديثه مع عمتها ام لا. حاولت ان تمنع نفسها من البكاء ثانية. فزمن الفرح والدهشة قد ولى. كان حقدها على غاريث يملأ كل جوارحها ولكن ماذا بامكانها ان تفعل؟ ليبقى قدر ما يشاء. فأيامه السعيدة قد ولت. ومحاولاته للتقرب منها ودفعها لأن تحبه. . . تحبه، لا. لن تدعه يفكر بذلك ابداً بعد اليوم. وفجأة تذكرت قول امها: «انه عدوك. تذكري لقد قتل والدك».

ـ سأتذكر.

قالت لنفسها وهي تدلك الكلب الافغاني. ثم فكرت ان غاريث قد يريد ان يرحل بعد فترة. وتذكرت لقاءاتها الأولى يوم كانت تراه قاسياً وسمجاً وغجري الأطوار، كما تذكرت شعور الخوف الذي انتابها يوم لمس يدها لأول مرة. كأن ذلك الشعور كان بمثابة الانذار. وها ان ما حدث هو أسوأ بكثير مما كانت تتوقع. فعادت الى البكاء ولم تتمكن من ايقاف دموعها بسهولة وهي منهمكة في تنظيف الأرض.

والتفتت نحو هربرت، الكلب الافغاني، وقالت:

ـ انت حقاً رائع، أليس كذلك؟ من يدعك تضيع ولا يعود ليبحث عنك؟

لم يعد الضابط ماكليش بأي جواب، رغم انه أكد عزمه على تعميم مواصفات الكلب الضائع على جميع مخافر سكوتلاند.

مرت الأيام وبدأت هولي تشعر بحاجة عمتها لها. خاصة انها بدأت تشيخ كما بدأت هولي تحل محلها في الاعتناء بالحيوانات. كان مايك في هذه الفترة يتردد عليهما ويبدي كل لطف وتفهم. حاول مراراً ان يدفعها الى الابتسام والضحك لكنه لم يوفق. وكأن هولي باتت بلا قلب بعد حادث اكتشافها لحقيقة غاريث. لم تعد تذكر اسمه ابداً بعد ان اخبرت مايك بما حدث. يومها دهشت لدهشة مايك. لم يكن على علم بالأمر اطلاقاً. اذ قال:

ـ هذا يفسر اموراً عديدة. لا شك ان والدي اخبر لورا فاهتمت به الى حد بعيد. ولم لا، طالما انه وريث بضعة ملايين؟ هكذا اذن.

اومأ برأسه مستغرباً. وبعد قليل تكلمت هولي بهدوء:

ـ يبدو انه يفضل الحياة البسيطة. وقد لا يناسب ذلك ذوق لورا. فهي لا تريد ان تعيش في الاحراج الى الأبد. أليس كذلك؟

ـ انت تمزحين ولا شك. انتظري حتى تتملك منه. بعدئذ سوف تخطفه بسرعة البرق ولن يعود احد ليراهما. عليه على الأقل ان ينهي كتابه اولا.

ـ كتابه؟ اي كتاب تعني؟

ـ انه يكتب سيرة جده الذي يفتخر به كثيراً. لم تخبرني التفاصيل لكنها تظن ان عمل غاريث هذا مضيعة للوقت. اما هو فمنكب على مشروعه بكل جدية.

وأدركت هولي ان ذلك يفسر سبب انصرافه عن القيام بأي عمل آخر، كما يفسر تنزهه مساء في الهواء الطلق. فهو بحاجة للنسيم العليل بعد نهار من الأبحاث والكتابة. ولكن كفى، فهي لا تريد ان تعرف اكثر عن غاريث غرين. ما تعرفه عنه يكفيها مؤونة العمر.

غيرت الموضوع ولم تعد تأتي على ذكره. ومع الأيام لاحظت ان علاقتها بمايك علاقة مستحبة يسودها التفاهم والاحترام. على الأقل

فهي مرتاحة لرفيق يكون بقربها. كثرت سهراتها للعشاء والرقص و. . . العناق الطويل، عناق الأصدقاء لا العشاق. اما لورا فكانت تخرج برفقة غاريت مرة او مرتين في الاسبوع. وكانت هولي تعرف ذلك عندما ترى ان اللاندروفر لا تعود الا بعد منتصف الليل. واذا ما استيقظت على صوت تلك السيارة تحاول ان تسد اذنيها كي لا تسمع ذلك الصوت. آه كم تكره ذلك الرجل!

لم تعد تراه كثيراً. كان كل واحد منهما يتجنب الاجتماع بالآخر او التحدث اليه. واذا ما اراد غاريت ان يزور العمة مارغريت فانه يختار الساعة التي تكون فيها هولي خارج المنزل. واذا ما التقى واحدهما الآخر صدفة فلا يبدي سوى الوجه العبوس.

كانت القطط قد توزعت بين منازل القرية. ومن الذين اخذوا منها، سيدة عجوز كانت صديقة عزيزة للعمة مارغريت تسكن على بعد عشرة أميال وتدعى الين ماكدونالد.

ـ ستكون القطة رفيقة لها هذا الشتاء. وقد حاولت ان اقنعها بالمجيء الى هنا وقضاء بضعة اشهر معي فرفضت كعادتها في كل عام. انها عنيدة.

ابتسمت هولي وفكرت بأوجه الشبه بين الامرأتين العجوزين. وفي احد الأيام اتصلت الين هاتفياً لتطلب كلباً من كلاب العـ[illegible] مارغريت وأكدت لها هولي على الهاتف ان عمتها تكون سعيدة لتلبية هذا الطلب وسوف تكلمها حين تعود من القرية.

كانت فرحة العمة مارغريت عظيمة وأخذت تفكر أي كلـ[illegible] ترسله لالين.

ـ كلب هادىء لطيف. ماذا لو ارسلنا سيدي الصغير؟

سمي كذلك لكسله الشديد. بني اللون، صغير الحجم، كثيـ[illegible] الشعر. أحبته هولي كثيراً ولكنها رأت انه سيعجب الين كذلك. وعلى الفور قالت عمتها مؤكدة:

ـ انت على حق. سآخذه الآن قبل ان تغير رأيها.

ذهبت العمة مع الكلب واعترى هولي شعور متضارب فهي من جهة تحب هذا الكلب ومن جهة اخرى ترى في ذهابه تخفيف عبء عنها وعن عمتها.

بعد ساعات عادت عمتها فجأة. فبادرتها هولي:

ـ لماذا عدت بسرعة؟ ماذا في الأمر؟

الين مريضة جداً يا هولي. وقعت الاسبوع الماضي على ركبتها. والرشح يقوى عليها. اصريت عليها ان تأتي معي لقضاء اسبوع او اسبوعين. لكنها رفضت كالمعتاد فهيأت لها بعض الطعام وعدت. مسكينة. لست أدري ماذا افعل. انها تقلقني كثيراً

دخلت المطبخ وأعدت الشاي. كان الطقس قارساً، ذلك اليوم من أيام تشرين. وخطرت فكرة لهولي فقالت:

ـ لماذا لا تذهبين يا عمتي لقضاء بضعة ايام هناك؟

وقبل ان تجيب، تابعت هولي:

ـ انا اهتم بالحيوانات.

ـ يا عزيزتي! ولكن هل باستطاعتك. . . اعني. . . كم جميل منك. . . ولكن. . .

ـ اني اصر، يا عمتي.

ـ هذا رائع.

وابتسمت العمة مارغريت. وبعد حين، عندما فكرت ثانية بقرارها شعرت انه قرار خاطىء. ولكن لا مجال الآن للتراجع. كلمت الين على الهاتف، وذهبت الى غاريت لتطلب منه ان يأخذها باللاندروفر.

ـ بامكانك ان تستعملي سيارة المبنى اثناء غيابي. ولن أبقى أكثر من يوم او يومين. اعلم انك لا تحبين ان تطلبي من غاريت ان يقود السيارة لك.

لم تفكر هولي بكل هذه التفاصيل. كل ما خطر ببالها ان عمتها بحاجة ال[illegible] تغـ[illegible]اء مع صديقة من صديقاتها. فهي لم تأخذ

فرصة سابقة ابداً. وقد تكون هذه المناسبة الوحيدة التي تستطيع فيها مغادرة المنزل طالما ان هولي موجودة فيه ومستعدة لأن تقوم مقامها بكل المسؤوليات المنزلية.

في صباح اليوم التالي ودعت هولي عمتها قائلة:

- لا تهتمي للأمر. فأنا سأنتبه على الحيوانات الانتباه الضروري.

- وانا طلبت من غاريت ان يأخذ الحيوانات مساء للتنزه خارجاً.

- لم يكن من الضروري ان تطلبي منه ذلك.

- لا اريد ان اترك عبئاً كبيراً على كاهلك. ثم هو لا يمانع في ذلك. على كل حال ليس من الضروري ان تجتمعي معه او تحدثيه.

وفجأة خطر ببال هولي ان لورا لن تكون مرتاحة لهذه الفكرة: فكرة ان يغادرها غاريت ليعود الى المنزل. وشعرت بشيء من الارتياح ثم قبلت عمتها مودعة.

- سأتصل بك هاتفياً كل مساء واخبرك عن كل شيء. لا تهتمي. ابقي حوالي اسبوع.

- اؤكد لك انني لن اغيب اكثر من ذلك.

هذا ما قالته العمة مارغريت فابتسمت هولي في سرها.

وفكرت هولي بعد ان غادرت عمتها المنزل: اكان من الضروري ان يعرف ذلك الرجل بالأمر؟ انها تحتقره. ولكن... اذا شاءت عمتها كذلك فلتخبره بنفسها. اما هي فتشعر باستقلالية تامة. لديها السيارة ولديها كل ما تحتاج اليه في المنزل. لا داع لها لأن تفكر حتى بُوجوده. وان شعرت بالوحشة فسوف تدعو مايك لموافاتها الى المنزل. وهكذا بدأت هولي تخطط ليومها.

تضايقت هولي في بادىء الأمر من كونها وحيدة في المنزل اذ لا يوجد من تتحدث اليه. ذكرتها هذه الوحدة بالأيام الماضية حين بقيت في منزل والديها وحيدة بعد موت والدتها. اما الآن فالوضع مختلف. اذ عندها من الحيوانات ما يشغلها طوال النهار. اما هذا المنزل فقديم وجدرانه سميكة والنار تضرب فيه للتدفئة في مكانين

على الأقل: في غرفة الجلوس حيث تترك ابريقاً للماء الساخن، وفي المطبخ حيث يبقى الفرن جاهزاً لاعداد الطعام في اي وقت من النهار. كذلك توجد عند الحيوانات في الحديقة مدفأتان كهربائيتان.

ولا تنسى هولي ان تفصلها عن التيار الكهربائي كلما انتهت من عملها في اطعام الحيوانات وتنظيفها. في ذلك النهار عاد غاريت حوالى الساعة الخامسة بعد ان اوصل العمة مارغريت الى منزل الين. رأت هولي اللاندروفر وسمعته يقترب من المنزل ويتوقف امام المدخل. وتمنت لأول مرة ان تكون رجلاً لتعرف معنى الأخذ بالثار. فاسوأ ما كان يزعجها شعورها بالعجز التام تجاه هذه المسألة.

اشاحت الطرف عن اللاندروفر بشيء من الغضب وابتعدت عن النافذة. وبعد قليل خرجت لتستطلع امر الحيوانات. كان الطقس بارداً جداً. وما ان عادت الى المنزل حتى بدأ الثلج يتساقط.

كلمت مايك مساء فجاء لزيارتها. وامضيا تلك السهرة بالتحدث والاستماع الى الموسيقى والتمتع بدفء النار المشتعلة في الموقد.

- اتعلمين يا هولي كم ان الفارق شاسع بين النار المشتعلة في الموقد والتدفئة المركزية. فبامكاني ان اراقب النار طوال الليل ولكن لا يمكن ان افعل ذلك مع التدفئة المركزية.

فضحكت هولي وقالت:

- آمل انك لا تنوي البقاء هنا طوال الليل حتى ولو كنت تريد مراقبة النار فقط.

اومأ برأسه معلقاً:

- انت معي بأمان. واعتقد انك تعلمين هذا، اليس كذلك، هذا لا يعني انني لا اريد ان اعانقك.

وبعد ان عانقها تابع قائلاً:

- لكن اكره ان اسيء الى صداقتنا الحميمة ان انا حاولت ان . . .

وتوقف عن الكلام. فأجابت هولي بجدية ظاهرة:

- صحيح. ذلك يسيء الى صداقتنا. لا استطيع ان اشرح لك،

يا مايك، ولكن لا اجد نفسي الآن مستعدة لأكثر من ذلك.

بعد ذهاب مايك، وقفت امام المدخل والتفتت نحو منزل غاريت اذ رأت اللاندروفر في مكانها والنور خارجاً من غرفته.

كانت السماء ما تزال ملبدة بالغيوم، والبرد القارس يتسرب من النوافذ والأبواب. تنفست الصعداء، وفجأة انتابها شعور بالوحشة فيما هي تنظر الى نافذته المضيئة. وقبل ان تفكر بأي شيء اسرعت الى الباب الخارجي واغلقته.

٦ - كالكتاب المفتوح

حين استيقظت هولي صباح اليوم التالي اطلت من نافذة غرفتها لترى بياض الثلج وقد غمر كل مكان وما يزال يتساقط بدون انقطاع. اسرعت الى الطابق الأرضي لتتفقد الحيوانات. وما ان فتحت الباب الخلفي حتى اصطدمت بجدار من الثلج. وادركت ان الثلج بات على علو ثلاثة اقدام. نظرت من بعيد الى الكلاب وعلمت انها لا تستطيع ان تفعل لها شيئاً.

كان ذلك النهار متعباً بالنسبة لهولي. فبعد ان ارتدت ثياب العمل وانتظرت توقف الثلج جاءت بالمجرفة اليدوية وحاولت جهدها شق طريق ضيق لتصل الى الحيوانات فقدمت لها الطعام والدفء الضروري، واخرجتها قليلاً لتنشق الهواء النظيف ثم عادت بها الى

مكانها. بعد عناء العمل دخلت المنزل واعدت لنفسها فنجاناً من الشاي وجلست قرب الموقد تستريح وتستمد الدفء الذي افتقدته ذلك النهار.

شغلتها افكار عديدة. ها هي في المنزل بعيدة بل منقطعة عن العالم الخارجي بسبب الثلج. واقرب انسان الى ذلك المكان هو. . . غاريت. ولكن لا مجال للوصول اليه اذا احتاجت امراً او اضطرت الى طلب اية مساعدة. غير انها مسؤولة، هذه المرة، عن البيت ومن فيه.

وشعرت للحظة ان حصار الثلج قد يكون امتحاناً لها ولتصرفها الذي يجب ان يكون حكيماً حتى في الظروف القاسية والصعبة. وعادت فكرة غاريت ثانية. لا بد انه يتوقع ان احتاج الى مساعدته. ولكن:

ـ ان طلبت مساعدته يقضى علي.

وقامت الى الهاتف لتتصل بعمتها وتطمئنها عن سلامتها وسلامة الحيوانات. فلا شك انها منشغلة البال بهولي وامور المنزل.

وارتاحت العمة مارغريت لصوت هولي وهي تؤكد لها من جديد قدرتها على الاعتناء بكل شيء.

ـ أأكيدة انت يا عزيزتي؟ معلبات الطعام للحيوانات موجودة في زاوية المطبخ.

ـ اعرف يا عمتي. اعرف مكان كل شيء في المنزل وفي اسوأ الاحتمالات سأعد الخبز بنفسي. اين لائحة المقادير؟

ـ اعتقد انها مكتوبة على غلاف كتاب الخياطة - او ربما يا الهي. . .

ـ لا بأس، لا تجزعي يا عمتي سوف اتدبر الأمر بنفسي اهتمي الآن بصديقتك الين. سلمي عليها. وسأتصل بك هذا المساء، الى اللقاء.

لم تكن هولي جادة في فكرة اعداد الخبز. ولكن حين اقفلت

سماعة الهاتف ونظرت ثانية الى النافذة وما خلفها من بياض فكرت ان مزاحها قد يتحول الى حقيقة.

ظل الثلج ينهمر ليل نهار. وبعد يومين اصبح على ارتفاع ستة اقدام. انه عالم مختلف تماماً. لا ضجة ولا حس لأي كائن حي، بل سكون وبياض يغلف كل الأماكن. كادت تصادف غاريت مرتين لولا تجنبها لهذا الأمر. كان الهاتف هو الوسيلة الوحيدة للاتصال بالعالم الخارجي. وفي يوم الأحد التالي قامت الى الهاتف لتتصل بمايك لكن الخطوط كانت معطلة. ولأول مرة شعرت هولي بوحشة حقيقية. فها هي وحيدة في المنزل المحاصر بالثلج ولا اتصال مع الخارج. قضت ذلك النهار بالمطالعة.

بعد ظهر ذلك الأحد صعدت الى غرفة النوم في الطابق العلوي بحثاً عن مجلات لم تقرأها بعد. وتذكرت فجأة ما قرأته في المجلة القديمة المرة الماضية. وازعجها شعور مفاجىء بالانكماش والأسى وحاولت ان تتجنب القراءة مجدداً. ولكن ما الفائدة من الندم الآن. فالحقيقة تعرفها. والهرب منها لا يغير فيها شيئاً.

بعد قليل ذهبت لاطعام الكلاب. انها تحب هذا العمل، خاصة ان الكلاب اعتادت على هولي، فهي تلاطفها وتعاملها معاملة حسنة وكثيراً ما كانت تلعب معها فتركض في الحديقة وتلحقها الكلاب لاهثة وهولي تداعب هذا وتغمز ذاك لتمضية الوقت.

اقترب المساء وفكرت انها ستمضي سهرة اخرى وحيدة بدون انيس او جليس. لاحظت حركة من جهة منزل غاريت فأشاحت بوجهها كي لا تراه؛ في تلك اللحظة، وفيما هي تمشي بدون ان تنظر امامها اصطدمت بصخرة مغمورة بالثلج فهوت على الأرض وزلق جسمها لبضعة امتار باتجاه المنزل. فتحت عينيها بعد لحظات لتجد نفسها محاطة بالثلج من كل جانب. حاولت النهوض فلم تستطع، ولم تشأ ان تنادي غاريت لمساعدتها، فدفعت نفسها بصعوبة لتصل الى المنزل.

فجأة شعرت بألم حاد في الجهة اليسرى من جسمها. وما ان اصبحت داخل غرفة الجلوس حتى اخذت ترتجف من البرد والألم والارهاق. فأوجاعها تتزايد من كتفها الأيسر حتى كاحل رجلها. وذراعها اليسرى تكاد لا تتحرك. وفيما هي تتفحصها فوجئت بالدم النازف منها. وبعد صعوبة فائقة تمكنت من ان تنهض الى المغسلة قرب المطبخ حيث اخذت تنزع عنها قميصها بيدها اليمنى بهدوء وبطء.

ما ان نزعت كم القميص عن ذراعها حتى سمعت صوت الباب يفتح. وقبل ان تلتفت لترى من القادم سمعت صوت غاريت:

ـ جئت للمساعدة.

فوجئت به، واشاحت بوجهها لتقول:

ـ اذهب من هنا.

لكنه تقدم نحوها ببطء فيما هي تمسك بقميصها والاحراج باد على وجهها الى جانب الألم وهي لا تقوى على الكلام.

ـ هل اصبت بأذى؟ دعيني اساعدك. عليك ان . . .

ـ لا.

ولم تقو على متابعة الكلام. كانت ترتجف من البرد والألم وخوفها من ان يلمسها. وفيما شعرت بالألم المتزايد في ذراعها اليسرى قالت له بصوت منخفض حتى الهمس:

ـ اذهب من هنا.

لم يكترث لقولها فتقدم منها وحملها بين ذراعيه واجلسها على المقعد. ثم جثا امامها وقال:

ـ اسمعيني، يا هولي، سأعد لك بعض الشاي. ولكن انت بحاجة الى حرام تتغطين به الآن. اين يوجد هذا الحرام؟

ـ في غرفتي، في الخزانة الصغيرة تحت النافذة.

وتفاقمت اوجاعها بحيث انهمرت دموعها ولم تعد تقوى على المقاومة اكثر من ذلك. رأته يذهب الى غرفتها ثم يعود ويهبط السلم

ومعه حرام كبير يقف به للحظات امامها قبل ان يضعه على كتفها. فكرت بما حصل. واغمضت عينيها لشدة التعب والارهاق. وكان الدم ينزف من انفها وفمها وهي لا تدري لماذا.

ـ لا تجزعي. ضعي هذه المحرمة على فمك.

وشعرت هولي انه من الأسهل عليها ان تطيع الأوامر من ان تستمر في المقاومة والشجار.

ـ لا بد انك لطمت شفتك حين وقعت على الثلج. لا بأس فالدم يكاد ينقطع الآن. اشربي هذا، فقد يساعدك.

واخذت منه الفنجان بدون ان تنظر اليه. وشربت منه واحست بالدفء من جديد ثم اعادت الفنجان اليه بدون ان يلتقي الوجهان. فقد يذهب بعد لحظات.

ـ دعيني الآن ارى ذراعك.

وفيما هي تحاول الابتعاد والاختباء تحت الحرام قال بصوت حازم:

ـ انا لا انظر اليك. لا تقلقي. اريد ان اعرف فقط ماذا فعلت بذراعك.

وجثا امام سريرها وحاول ببطء ان يرفع ذراعها بيده بكل رفق وعناية. كانت هولي قد ارتاحت بعض الشيء بعد شربها الشاي الساخن. كانت خطوط الدم المنساب على ذراعها قد برد وجمد. حاولت ان تسترق بعض النظرات الخاطفة فرأت رأسه من فوق وبعضاً من وجهه الأسمر، ولاحظت انه غير مكترث بهندامه وانه ترك ذقنه بدون حلاقة. وكأنه اهمل نفسه في وحدته. كان يرتدي قميصاً زرقاء وسروالاً قديماً من الجينز. وبدت كتفاه عريضتين قويتين. وفجأة اشاحت الطرف عنه قبل ان يرفع عينيه ويراها.

ـ هل سببت لك ألماً جديداً؟

كان عليها ان تنظر نحوه كي تجيب:

ـ لا. الألم موجود في كل حال. هل تعتقد انني كسرت ذراعي؟

بدت نظراته نحوها باردة وكأنه رجل غريب. وبعد قليل اومأ

برأسه وقال:

ـ لا. لا اعتقد ذلك. انها رضة قاسية. كيف حال رجليك؟

ـ اشعر بألم فيهما.

وفكرت فجأة لماذا استدرجت للحديث معه. وبعدَ قليل قالت بدون تردد:

ـ شكراً لمساعدتك لي. سوف اتدبر امري الآن.

وقف والقى نظرة عليها ثم قال بكل هدوء ورصانة:

ـ لن تستطيعي ابداً ان تتدبري امرك الآن. لا يمكنك البقاء هنا وحيدة. سوف آتي لمساعدتك.

وابتسم لردة فعلها الشديدة. ثم تابع كلامه:

ـ لا رغبة عندي ان اراك اكثر من رغبتك، ولكن لا خيار لي. لا يمكن ان اتركك في هذه الحال.

لا اريدك. الا تفهم.

واجاب بهدوء قائلاً:

ـ فهمت ذلك جيداً. ولكن اقترح ان تسقطي يومين او اكثر من حسابك. حالتك هذه فرضت علينا هذا الأمر.

وبعد قليل تابع وهو ينظر اليها:

ـ ولا حاجة لك للأفكار التقليدية. اعدك بأنني لن اضايقك.

وفوجئت هولي بهذا الكلام. ثم تابع غاريت:

ـ في الحقيقة ليست عندي الرغبة حتى في ان المسك فاطمئني.

فاعترضته قائلة:

ـ كيف تجرؤ على مثل هذا الكلام؟

ـ دعي التواضع جانباً فلن يفيدك شيئاً. ولا داع لأن تتصنعي في تصرفاتك.

واجابت هامسة:

ـ انت مكروه.

ـ صحيح. ولكن اقترح ان نتناسى ذلك الآن. سأذهب لأجلب

اغراضي واطفىء نار الموقد في منزلي واعود. فكري اين سأنام فلن اتأخر.

توقف عند الباب للحظة وقال لها:

ـ سأعتني بذراعك حين اعود.

وانصرف.

بدا الأمر غريباً بالنسبة لهولي. ولكن يبدو ان غاريت مصمم على الامساك بزمام الأمور. وهي عاجزة عن القيام بأي شيء. في تلك السهرة عاد غاريت وضمد الجراح في ذراعها وارتاحت قليلاً. وبعد فترة قصيرة شعرت ببعض الأوجاع في وركها ورجلها. وايقنت ان اية حركة تقوم بها تكون مصدر الم جديد. وكان هذا الألم يؤدي بها احياناً الى الصراخ.

خرج غاريت ليتفقد الكلاب في الحديقة. بات من المستحيل لها ان تقوم بنزهة وسط الثلج المتراكم. لكن هولي علمت الكلاب كيف تحب الثلج وتلعب وسطه.

ـ في اي غرفة سأنام؟

واجابت ببرودة ظاهرة:

ـ استعمل غرفة عمتي فقد بدلت شراشفها يوم غادرت المنزل.

ـ حسناً.

وصعد الى الغرفة وكأن شيئاً لم يكن. تمنت هولي لو لم تقع ويحدث لها ما حدث. وهي تتمنى الآن ان تشفى بسرعة كي يرحل غاريت ويتركها بأمان. اصحيح انه ينام في غرفة مجاورة لغرفتها وانه يأكل ويعمل ويتنقل في المنزل نفسه الذي تسكنه. اصحيح كل ذلك؟ تكاد لا تصدق ما يحدث الآن. لقد اخذ عنها كل هموم المنزل، فالحيوانات في عهدته واحتياجات البيت في عهدته، وما عليها سوى ان ترتاح وتشفى بسرعة.

بعد لحظات، وفيما هي تنعم بدفء النار سمعت وقع قدمين غليظتين وصوت باب يفتح ثم يغلق. اطل غاريت من جديد ليقول

لها.

من الأفضل ان تستحمي هذا المساء بماء فاتر مع كثير من الملح، هل عندك ملح في البيت؟

- نعم ولكن...

وتوقفت عن الكلام.

فسألها على الفور:

- كيف تستطيعين ان تستحمي بمفردك؟

وبعد لحظات تابع كلامه مجيباً عنها:

- اتصور ان الأمر سهل جداً طالما تعلمين انك اذا ندهت لي للمساعدة فسأحضر في الحال.

لم ترقها سخريته هذه فأجابت:

- لا تقلق فلن يحدث ذلك.

فضحك وقال:

- انها نكتة.

- لا اراها ناجحة.

- صحيح؟

لاحظت انه غضب لتعليقها. وفكرت ماذا تفعل بهذا الرجل القوي الواقف امامها والذي يتصرف كأحد افراد العائلة في منزل عمتها رغم كرهها له، ورغم شعورها بعجزها الكلي امام الوقوف بوجه ارادته الصلبة.

عندئذ انتابها دوار شديد كاد يفقدها الوعي. فأشاحت الطرف محاولة ان تخفي ضعفها امامه. فقد يكون هذا الضعف سلاحاً بيده ولديه حتى الآن ما يكفيه. جالت افكار عديدة في رأسها. فها هما وحدهما في المنزل بعيدين عن العالم الخارجي اذ يحاصرهما الثلج، ولا انيس او جليس لواحدهما سوى الآخر. انه الواقع الذي لا تستطيع ان تغير فيه شيئاً. فلا مجال لاقناعه بمغادرة المنزل. هو مصمم على البقاء. ومن الصعب جداً اقناعه بعكس ذلك.

القى غاريت نظرة على ساعة يده وقال:

- من الأفضل ان تستحمي الآن. هل لديك المرهم؟

- نعم.

لا مجال للاعتراض. ومن الأسهل لها ان تنفذ كلامه. حاولت الوقوف بصعوبة. قام غاريت لمساعدتها. كانت يده قوية وهي تسند ذراعها برفق كلي. وحين وقفت شدت الحرام على جسدها والحياء باد عليها. وبعد لحظات قالت له:

- شكراً. سأصعد الآن.

- دعيني افتح المياه لك.

وأومأت برأسها مجيبة:

- سأتدبر الأمر، شكراً.

علمت انه من الصعب عليها ان تمشي. ولكن لا بد ان تحاول. وفجأة سمعته يقول:

- لا تقفلي باب الحمام.

- ماذا؟

دهشت لهذا الكلام ولاحظ غاريت ذلك فأجاب:

- اعني، اذا احتجت لأية مساعدة... لا تقلقي، اعدك بأن ابقى في الطابق الأرضي طوال الوقت.

ولم تجب على هذه المسألة الدقيقة والحساسة.

صعدت السلم بصعوبة وألم. وحين استرخت في المغطس المملؤ بالماء الفاتر المالح بدأت تراودها افكار عديدة. انها ضعيفة ولا تقوى على مقاومة غاريت. فمن الافضل، ولو مؤقتاً، ان تتركه يتصرف ويتخذ القرارات ويهتم بأمرها. خاصة انه قدير ونشيط. اما مشاعرها السلبية تجاهه فمن الأفضل ان تضعها الآن جانباً. عليها ان تساوم. وفجأة فكرت بأمها. ماذا عساها تقول لو كانت هنا؟ وتساقطت الدموع على خديها. في كل حال فوالدتها لم تعد في هذا العالم. قد يكون ذلك ايضاً بسبب والد غاريت، ولو بصورة غير

مباشرة. وتساءلت هولي ما اذا كانت والدتها على علم بوجود ولد لنفيل غرين.

حين استيقظت هولي صباح اليوم التالي، كانت متعبة جداً والألم يعيقها من التحرك بسهولة، اخذت بضعة دقائق لتتمكن من تحريك ذراعها الأيمن، كانت رائحة المرهم قوية. اذ فركت جسمها كله بعد الحمام مساء البارحة قبل ان تخبر غاريت بانها خرجت من الحمام وانها ذاهبة الى النوم. ستساوم . . . صحيح، ولكن هذا لا يعني انها ستجلس معه وتحدثه طوال النهار وكأنهما صديقان قديمان. شعرت بالعطش ولاحظت برودة غرفتها، ولم تكترث ما اذا كان هو في الطابق الأرضي ام لا. القت عليها معطف النوم بصعوبة ثم قررت ان تنزل ببطء الى غرفة الجلوس.

نزلت هولي السلم ببطء وانتباه حاملة اوجاعها معها. فكرت ان تسير اولاً الى المطبخ لتنفذ كل شيء. كانت السكينة تلف المنزل. حتى الحيوانات لا اصوات لها. وخطرت ببالها فكرة: ماذا لو غادر غاريت منزلها الآن؟ شعرت بالوحشة ثانية. لكنها عادت وطردت هذه الافكار من رأسها بسرعة. وتذكرت الليلة الماضية حين صعد غاريت الى غرفتها ومعه حبة الدواء وفنجان من الشاي. وبعد ان قدمها لها تمنى لها مساء سعيداً وخرج من غرفتها. امور غريبة تحدث ولا تجد لها تفسيراً.

اعدت الشاي وبعض الخبز والزبدة لفطور الصباح وفكرت: هل تعد له فطوره ايضاً؟ هل يمكن لها ذلك؟ ولكن هل من المعقول ان تتجاهله بعد ان قدم لها كل هذه المساعدة؟ اعدت الفطور لشخصين وقبل ان تغير رأيها ذهبت الى غرفة عمتها وطرقت الباب. وقبل ان تسمع الجواب ندمت على ما فعلت. لكن ندمها جاء متأخراً اذ جاءها صوت من داخل الغرفة:

ـ ادخل.

فتحت هولي الباب ودخلت مترددة. كان غاريت ما يزال في

السرير، لكنه مستلق باسترخاء ويده اليمنى فوق المخدة.

ـ فنجان شاي.

قالت ذلك بهدوء وصوت منخفض كالهمس.

جلس بسرعة في الفراش. وبدا شكله الغجري اكثر من اي وقت مضى. ولم تتمكن هولي من ان تشيح طرفها كي لا تراه. ثمة جاذب يشدها نحوه. وتسمرت عيناه عليها وهو يقول مندهشاً:

ـ انت جئت لي بالشاي؟

ـ نعم.

وهمت بالانصراف قبل ان يستوقفها اكثر. وفجأة شمت رائحة حريق فتذكرت الخبز الذي تركته يتحمص في الفرن وقالت:

ـ آه، نسيت الخبز.

وحاولت ان تسرع نحو المطبخ متناسية اوجاعها. وتمكنت من الوصول بالسرعة الممكنة وانقذت ما امكنها من خبز غير محروق، فسحبته من الفرن. وشعرت فجأة بما يستوقفها: فكرهها لغاريت ليس كرهاً حقيقياً. صحيح انها متألمة كل الألم لما حصل بينهما لكنها تلاحظ انه ما يزال يعني لها شيئاً. هل هي النزوة ام هو الحب؟ لم تعد تدري. كل ما تعرفه ان نظراته نحوها هذا الصباح كانت مليئة بالحنان الذي عرفته فيه سابقاً. وكم تمنت في تلك اللحظة لو يعانقها. ولكن هذا التمني ظل سراً دفيناً في نفسها.

شربت هولي فنجان الشاي بسرعة ويداها ترتجفان. انها مجنونة. الا يسره ان يعلم! فهو لم يتردد في ان يخبرها عن جمال لورا. ولا بد انه مشتاق اليها. اغمضت هولي عينيها وشعرت فجأة بالحسد القديم الذي كان يزعجها. ظنت ان حسدها من لورا قد مات. لا بد ان لورا منزعجة جداً لكونها قريبة من غاريت وبعيدة عنه في آن واحد. ولا بد ان غاريت يبادلها هذا الشعور. شاب غني ينال ما يريده بسهولة. ولكنه وعدها بالا يلمسها، قد يتغير موقفه بعد بضعة ايام. ولكنها لماذا تذكر كذلك؟ كان الخبز قد نفد وفكرت هولي ان عليها ان

تعد بنفسها، اذ بدأت الحياة اليومية تتعقد اكثر فأكثر وسط الثلج الكثيف.

نزل غاريت الى الطابق الأرضي واشعل نار الموقد. اخبرته هولي بانها ستعد الخبز بنفسها. ولاحظ من نبرة صوتها بأنها مستعدة لان تتحادث واياه، فسألها:

- اتريدين المساعدة؟
- نعم. ارجوك. حين ينضج العجين يكون المعجن ثقيلاً.
- حاضر. ساعة تطلبين. سأذهب الآن الى البيت واعود بعد حين. هل بامكاني ان اعمل في غرفة النوم؟
- قد تكون الغرفة باردة. اي نوع من العمل تريد القيام به؟
- اريد ان اكتب.
- يمكنك ان تكتب في غرفة الجلوس. انها دافئة. ثم لن ازعجك فلدي ما افعله في المطبخ.

نظر اليها وهو يكاد لا يصدق ما يسمع، ثم قال:

- لا بأس. سآتي بطاولة صغيرة وبعض الطعام. هل لديك ما يكفي من الحليب؟
- استعمل حليب البودرة. وقد لاحظت وجود الكثير من علب الحليب في المطبخ، لماذا؟
- لقد جئت بكمية اضافية من باب الاحتياط.

حلق غاريت ذقنه وارتدى ثيابه ومشط شعره فبدا شاباً وسيماً انيقاً قوي البنية وجذاباً. ولكن هولي فكرت ان عليها الا تنظر اليه كرجل. خرج غاريت وابتعد باتجاه منزله. وعادت هولي الى وحدتها. كيف يمكنها ان لا تفكر بوجود رجل في بيتها؟ رجل مثل غاريت تمكن في ظرف ساعات معدودة، وقبل ان تكتشف حقيقة امره ان يثير فيها كل انوثتها. تنفست الصعداء وشعرت ببعض الألم في ذراعها يرافقه ألم اشد لشعورها بأن غاريت كان يسخر منها في اخفائه حقيقة امره عنها. كم كانت غبية. وكم حالفها الحظ بأن

تكتشف الحقيقة فلا تتمادى معه اكثر.

عاد الطقس ليتحسن. اشرقت الشمس ودبت الحرارة في الداخل والخارج فوق الثلج. كان السكون يخيم على كل مكان حين ادارت المذياع واستمعت الى الموسيقى. ثم نهضت تنظف الطاولة الصغيرة وترفع عنها بعض الكتب. وفيما هي تحمل تلك الكتب سمعت وقع اقدام فأسرعت كي تنهي عملها لكنها هوت على الارض وكادت تصرخ من شدة الألم. ثم سمعت صوته الغاضب.

- ماذا حصل؟

تقدم منها ووضع صندوقاً كان يحمله على الطاولة، وحاول ان يسعفها لتنهض، فقالت له:

- كنت احاول ان آتي لك بالطاولة.
- ايتها المجنونة الصغيرة، وضعك لا يسمح لك بالقيام بأي عمل. هل تستطيعين الحراك؟
- لا. اتركني للحظة.

كانت تشعر بيديه تغمرانها برقة وحذر. وفجأة انهمرت دموعها وقالت:

- ساعدني ، ارجوك.

سمعت صوته يقول بلطف:

- لا تحاولي الحراك. ابقي كما انت ولو للحظات.
- سأبقى هكذا.

وشعرت باقترابه منها اكثر فأكثر وهو يحاول ان يحملها على ذراعيه بدون ان تتحرك، لفتها يداه بكل قوة وحرارة. كادت تسمع نبضات قلبه المتسارعة وتلاحظ لهاثه المتصاعد في وجهها ولمساته التي اضرمت في داخلها ناراً متأججة. مشى بها قليلاً ثم قال:

- من الأفضل ان تجلسي.

وما ان رفعت ذراعه عنها وجلست ببطء حتى قال لها:

- دعيني ارى ذراعك ثانية.

- لا تزعج نفسك. انا اهتم بذلك.

وقال مازحاً:

- صحيح، يمكنك ذلك بسهولة تامة.

راود هولي شعور متضارب من القلق والألم والرغبة الجامحة التي اثارت فيها بعض المخاوف. ثمة حالات نفسية يصعب التعبير عنها بالكلام. غير ان الصمت حيالها يكون ابلغ تعبير عنها.

جاء غاريت بصندوق الاسعافات الأولية، وعلامات الغضب بادية على وجهه. فتح الصندوق وباشر عمله بدون ان يتكلم مشيراً الى هولي ان ترفع الكم عن ذراعها. فعلت ذلك مطيعة لكنها شاءت ان تقطع الصمت الطويل بقولها:

- ليس من الضروري ان تبدي انزعاجك مما تفعل. قلت لك انا اهتم بذلك.

- اسكتي.

قالها بدون ان ينظر الى هولي التي لم تصدق اذنيها فأجابت على الفور:

- لا تزعج نفسك اكثر من ذلك. شكراً.

- لا تكوني غبية.

ورفع رأسه نحوها وقال:

- اسمعي. لو كنت رجلاً لربطتك وضمدت جرحك بالقوة. لكن ما حيلتي معك حين تعاندين؟ لذلك ارجو معذرتي على ما يبدر مني من كلام غير لائق حين لا اجد وسيلة اخرى للتعبير.

عاد الصمت مخيماً بينهما. وبعد قليل بدأت تذرف دموعها شفقة على نفسها فيما شفتاها ترتجفان. لاحظ غاريت بكاءها فقال:

- آه. . . لا ارى سبباً للبكاء الآن. رجوتك المعذرة، وها اني اكرر رجائي.

شعرت هولي بالنبرة الساخرة في كلام غاريت، مما زاد في غضبها. فقالت:

- ليتني. . .

وتوقفت عن الكلام:

- ليتك ماذا؟

- ليتني رجل لأتمكن من صفعك صفعة قوية.

تابع غاريت تضميد جرحها بدون ان يبتسم ثم اجابها قائلاً:

- من الأفضل لك الا تتمني ذلك. فلو كنت رجلاً لما تحملت ضرباتي المتلاحقة.

- يبدو انك تؤمن بالعنف، وان العنف يحل كل المشاكل.

قالت ذلك بألم وحرقة وشعور بالضعف امامه، ثم تابعت:

- اهكذا تحل مشاكلك، بالاقتتال؟

- بعض الأحيان، نعم. ولكنني لا اؤمن بالعنف. رغم ان الاقتتال مبرر احياناً.

وبعد ان زال غضبه قال:

- تعلمين انك تتكلمين كامرأة قوية ولكنك لست كذلك.

القى نظرة عليها ولاحظ ان الدموع ما تزال بين اهدابها فتابع قائلاً:

- انت ما تزالين تتسلحين بسلاح النساء حين يشعرن بالهزيمة او الضعف، الدموع والشفاه المرتجفة. آه. انه امر لا يخطىء، أليس كذلك؟

- انت تعلم. فلديك خبرة واسعة.

- انا لا احاول ان ادفع الفتيات الى البكاء، ان كان هذا ما تعنين.

وقبل ان تفكر اجابت هولي بحدة وقسوة:

- الفتيات ينتبهن على تصرفاتهن حين يخرجن مع شاب ثري وابن مليونير.

ندمت على قولها هذا. ولاحظت علامات الغضب على وجهه وبعد ان وقف في مكانه اجاب:

- لم الاحظ انك انتبهت على تصرفاتك تلك الليلة في اللاندروفر،

ولم تعلمي آنذاك حقيقتي.

وبعد قليل تابع:

ـ كان بامكاني ان اتصرف افضل من ذلك بكثير، من يدري؟

ولم تعلم هولي بماذا تجيب. غمرها الحياء وخفضت عينيها صامتة. فأين لابنة الثامنة عشرة ان تقف بوجه رجل يهاجمها بثقة واطمئنان. ابتعدت عنه وانصرفت الى غرفتها في الطابق العلوي لتستلقي على السرير وعيناها مغرورقتان بدموع الارهاق والتعب.

نامت هولي وحلمت احلاماً مزعجة تلك الليلة. حلمت انها ضاعت في الثلج ولم تتمكن من العودة الى منزلها. واستيقظت فجأة حين سمعت صوتاً يناديها وشعرت بيد تلامس ذراعها.

فتحت عينيها على غاريت واقفاً بجانب سريرها، ثم عادت واغمضتهما وهي ترجوه ان يرحل.

ـ لا. انزلي الى الطابق الأرضي، البرد قارس هنا، لقد اعددت طعام الغداء. الست جائعة؟

زال غضبها وارتاحت بعض الشيء بعد ان ارهقت اعصابها. فجسدها متنبه لكل حركة من حركات غاريت ولكل كلمة من كلماته. وهي لا تستطيع ان تفعل شيئاً حيال ذلك. ارادت سلاماً وصمتاً بعد ان كاد التعب يهدها هداً. حاولت ان تجلس في فراشها واخذت ترتجف وقالت:

ـ انا جائعة ولكن لا اريد ان. . .

واجاب بهدوء:

ـ لقد انتهى شجارنا، يا هولي. لم اكن اعلم كم انت مريضة. انا آسف. تعالي الآن.

ولم يكن ساخراً هذه المرة. ساعدها كي تنهض من سريرها وسارت ببطء الى الطابق السفلي.

ـ امشي ببطء وانتبهي.

كانت لمساته كلمسات الطبيب. لم يكن فيها اي طابع شخصي.

وحين وصلت الى الطابق السفلي القت نظرة على ساعة الحائط وقالت بدهشة:

ـ اصبحت الساعة الثالثة.

ـ نعم. لقد نمت بضع ساعات وجئتك بكيس الماء الساخن، ألم تلاحظي ذلك؟

وكأنها فوجئت بما سمعت فأجابت:

ـ صحيح كنت ممسكة بواحد حين استيقظت. هل انت الذي جئت لي بهذا الكيس؟

ـ ليس من احد غيري في المنزل؟ اليس كذلك؟

واومأت هولي برأسها موافقة. ولاحظت ان غاريت يحاول، على غير عادته، التودد اليها.

ـ شكراً.

وانتبهت الى الطاولة، تحت النافذة، التي وضعت عليها الآلة الكاتبة مع مجموعة من الكتب والأوراق. وبدت وكأنها تحولت الى مكتب للعمل.

لاحظ غاريت انتباهها فقال:

ـ سأتوقف الآن عن العمل.

ـ لا، ارجوك. سأجلس بجانب نار الموقد.

وبعد قليل تذكرت امراً:

ـ آه. . . الخبز. علي ان . . .

ـ لا حاجة لذلك.

امسك ذراعها واراها المعلبات الجاهزة والخبز المحمص. دهشت هولي لما رأت. حاولت ان تنحني ارضاً لتأتي بغرض ما من درج الخزانة فقال لها غاريت:

ـ لا تتعبي نفسك، فكل شيء جاهز وانت متعبة لا يجوز ان تقومي بأي عمل.

ادركت هولي حقيقة ما قاله لها غاريت، فأقل حركة تقوم بها

تستوجب منها جهداً كبيراً. كان الشجار قد انتهى لمدة يوم او يومين على الأقل.

- هل وجدت صعوبة في اعداد الخبز؟

وقف امامها والقى نظرة ثاقبة عليها ثم اجاب:

- لا. فأنا اعرف كيف اعد الخبز منذ زمن طويل.

وابتسم قليلاً. وتنفست هي الصعداء. فكل ما يعود الى حياته السابقة، قبل مجيئه الى رونايد امر يزعجها. ولكي تغير الحديث قالت له:

- هل قلت انك اعددت الطعام.
- نعم، آسف لتأخري، هل تريدين صينية؟
- لا شكراً.

راقبته وهو يدخل الى المطبخ. وفيما هي تجلس وحيدة في غرفة الجلوس اخذت تفكر كيف يحاول غاريت جهده لارضائها من جهة، ولضبط اعصابه حين تغضبه، من جهة اخرى. فهي مطمئنة الى ان الأمور تسير سيراً حسناً بينهما، حتى تتحسن صحتها على الأقل.

سمعت اصوات الصحون والملاعق والشوك فيما كان غاريت يهيء طاولة الطعام. وفكرت ان عليها ان تقابل محاولاته الايجابية باخرى مماثلة. فها هو قد تولى كل شيء في المنزل ولا يطلب منها سوى ان تبقى مستريحة وبعيدة عن اجهاد نفسها. انه رجل رائع حين يريد ذلك. ولكن لماذا تفكر كذلك؟ لماذا تعاني او تعذب نفسها في مراقبة تصرفاته وتحليل شخصيته؟ بعد لحظات عاد غاريت من المطبخ. وبيده صينية، وهو يقول:

- تفضلي، الطعام ساخن جداً، كدت احرق اصابعي.
- صحيح؟ آسفة لذلك.
- لا بأس، خذي وقتك، اعددت القهوة كذلك.

وانتبهت هولي الى الطعام امامها: بطاطا مسلوقة مع الجزر بالاضافة الى شرائح من اللحم المطبوخ. دهشت هولي للأمر وقالت متعجبة:

- لم اكن اتوقع اي شيء من هذا.
- معظم هذا الطعام جاهز في المعلبات. وعما قليل ينضج الخبز.

اكلت هولي بشهية كبيرة بسبب جوعها. ولاحظت، مرة اخرى، محاولات غاريت الجادة ليكون لطيفاً معها. كان الفرق ظاهراً جداً، وكأن اضطراب العلاقة المتوترة بينهما قد انتهى. هل تستمر هذه العلاقة الجديدة المتعافية ام تنتهي بانتهاء وعكتها الصحية؟

فيما هما يأكلان قام غاريت الى المطبخ ثانية ليأتي بآخر ما تبقى من شرائح اللحم الساخن. وكانت هولي متنبهة لكل تصرفاتها كي لا تخطىء امام غاريت او لا ترهق نفسها فلا تسبب له اي انزعاج جديد في مساعدتها. بدت في تلك اللحظة اكثر جمالاً وسكوناً بحيث يصعب على غاريت غرين ان يعادي، مرة اخرى، هذا الجمال. انه الآن في منتهى لطفه ولباقته، وهولي تدرك تماماً انه ليس من نوع الرجال الذين يرتضون لأنفسهم المشاعر المزيفة. سألها ما اذا كانت تريد بعض الفاكهة فأجابت:

- لا شكراً. غير اني اريد بعض القهوة من فضلك.
- دقيقة وتكون جاهزة.

ودخل المطبخ واضاء القنديل الكهربائي في الزاوية وقال:

- يبدو ان السماء ملبدة بالغيوم من جديد والظلام عاد يخيم في كل ناحية. لا شك ان الثلج سيتساقط من جديد.
- آه! كفانا ثلجاً. ماذا علينا ان نفعل؟
- لا يمكننا ان نفعل شيئاً سوى ان نتدبر الأمر بانفسنا، اليس كذلك؟

والتفتت اليه مجيبة:

- احياناً تمر الطوافات المروحية بحثاً عن المفقودين او المقطوعين وسط الثلوج لتزودهم بالغذاء والاسعافات الضرورية.
- ولكننا لسنا بحاجة الى مثل هذه الاسعافات فنحن في مكان

امين بفضل عمتك. واعتقد ان الكولونيل منزعج من حالة الطقس. فهو لم يسكن هذه المنطقة الا منذ مدة وجيزة.

- ولورا؟

وتوقفت هولي فجأة عن الكلام مدركة انها زلة لسان. اذ ماذا يفهم من كلامها؟ ثم تابعت مغيرة الموضوع:

- اعني... هي الاخرى غير معتادة هذا الطقس القاسي، فهي تعيش في لندن.

- صحيح هي غير معتادة على مثل هذا الطقس. عفواً، سآتي بالقهوة. لم يبد اي نبرة ساخرة او غاضبة. حاول جهده ان يضبط اعصابه منصرفاً لتقديم القهوة. ثم لاحظ ان هولي لم تأكل كفاية فقال:

- اكلك قليل، عليك ان تشبعي حتى تتمكني من الشفاء العاجل.

- سأحاول.

وراودها شعور مفاجىء: لماذا لا تمتحن قدرته للسيطرة على نفسه بدون ان يغضب؟ انه الشعور الانثوي الذي يحاول درس الارادة القوية عند الرجل ففاجأته بسؤالها:

- اعتقد انك مشتاق الى لورا، اليس كذلك؟

ظل هادئاً وتابع شرب شفة من القهوة ثم قال ببرودة اعصاب:

- قدر ما انت مشتاقة الى مايك. ثم لماذا تسألين؟

وبدافع من حسدها القديم قالت:

- ألست منزعجاً لكونك لا تراها؟ ولا تعرف ماذا تفعل، وما اذا كان مايك واقعاً في حبها؟

توقعت ان تراه غاضباً او على شيء من الحسد. لكنها فوجئت بجوابه:

- يبدو ان الشاب اذكى مما كنت اتوقع. اتمنى له حظاً سعيداً.

وقالت هولي مندهشة:

- وانت، الا تكترث للأمر؟

- ولم الاكتراث؟

لم تصدق هولي ما سمعت. حارت في امرها. هل صحيح ما يقول؟ ثم ان نبرته لم تكن حاسمة فهل يعني ما تلفظ به ام انه مجرد كلام عابر. بدأت ترتجف فيما كانت ترشف القهوة. وبعد لحظات خاطبها غاريت بهدوء قائلاً:

- يبدو انك امرأة صعبة المراس.

- لا افهم...

- لا تحاولي ان تخدعيني يا هولي. قد تصح محاولتك مع سواي. اما انا فلا اخدع بسهولة. انت تمتحنينني بكل دقة وحذر ساعية، ببراعة، لاكتشاف حقيقة مشاعري، أليس كذلك؟

- أنا... لا افهم ماذا تعني.

خانها لسانها هذه المرة، وضحك غاريت.

- بلى، أنت تفهمين جيداً. وانا لن اغضب او ابدي اي انزعاج لأن... لأنك لست الآن منسجمة مع نفسك. فأنت كالقطة الشرسة المستعدة للانقضاض علي في اية لحظة. وانا، اذا اصطدمت معك، فلا مفر عندئذ من معركة قاسية بيننا. وهذا ما لا اريده ابداً. في كل حال، يجب ان اقول لك ان افكارك المغلوطة عني لا تمت الى الواقع والحقيقة بأية صلة.

- وهل علي ان اسكت لتهجماتك غير المحتملة؟

- بل ان اتوقف انا عن مثل هذا التهجم.

قال ذلك مداعباً انفها الرفيع. وبعد لحظات اجابت:

- انا آسفة في كل حال.

فبادرها على الفور:

- لا ضرورة للتأسف. انت صغيرة السن. وعليك ان تتعلمي الكثير من الحياة. واذا لم تكثري من الاسئلة فلن تصلي الى ما تبحثين عنه. ولكن تذكري ان ثمة طرقاً مختلفة للوصول الى الحقيقة. وبعض هذه الطرق اسهل من سواها واقل الماً.

قام بعد ذلك ليتركها وحيدة في غرفة الجلوس، وينتقل الى المطبخ. وغرقت هولي في صمت عميق. فكلما عرفت غاريت ايقنت انها ما تزال تجهل حقيقة امره، وانه بالمقابل، يعرفها تمام المعرفة، ويقرأ افكارها ككتاب مفتوح.

٧- حزن حتى الموت

مرت بضعة أيام واستعادت هولي عافيتها ونشاطها. وظل غاريت ملتزماً بوعده. ظل المعين والساهر ابداً على راحتها بدون ان يغضب او ينزعج من شيء. وتساءلت هولي الى متى يمكنه ان يستمر كذلك. اذ ليس من طبيعته ان يكون مرحاً على الأقل معها. وما انصرافه الى الكتابة سوى الفرصة التي تمكنه من تخفيف المشاحنات والابتعاد عن الأجواء الملبدة. ولكن ليس دائماً. فقد لاحظت هولي، بعد يومين، كيف وقف غاريت غاضباً امام الآلة الكاتبة رامياً رزمة من الأوراق من يديه، نظرت هولي اليه وظلت صامتة.

بعد لحظات ابتعد عن الطاولة واعتذر عما بدر منه من تصرف لعدم رضاه عما كتب.

- لا بأس.
قالت هولي ذلك واقتربت من الطاولة.
- دعني...
- لا. أنا اجمع هذه الأوراق بعد ان بعثرتها.
- ولكن...
- قلت اتركيها.
وبعد ان ضبط اعصابه، تابع قائلا:
- شكراً. اذا أردت مساعدتي فأتني بفنجان قهوة.
- بكل تأكيد.

قالت ذلك وأسرعت الى المطبخ. كانت قد لاحظت ذلك النهار بعض الشحوب على وجه غاريت. فهو يبدو مرهقاً وكأنه عانى من الارق طوال الليل. ولم تكن هولي لتنتبه الى مدى جاذبيتها واغرائها بالنسبة اليه. فهو يكاد لا يستطيع ان يقاوم رغباته تجاهها. ولم يخطر ببال هولي ان عاصفة هوجاء ستقع بينهما قريباً برغم انتباهها لبعض التبدل في تصرفاته.

- لست أدري أين القنديل الكهربائي. نسيت اين وضعته.
- حاولي ان تتذكري. هل هو في احد الأدراج أو الخزائن او في اي مكان آخر؟
- آه، تذكرت، لا بد ان يكون هنا، الى اليسار، وعلى الرف الأول، بين الصناديق والعلب القديمة. وبعد لحظات اضاء نور خفيف من القنديل. ثم أعطته اياه ودلته على مكان العدّاد والوصلات الكهربائية وفيما هو يتقدم الى تلك الزاوية سألها:
- هل بامكانك ان تمسكي بالقنديل؟
- نعم بكل تأكيد.

وادرك بعد لحظات ان التيار الكهربائي مقطوع من الخارج. انه التيار العام الذي قد يبقى مقطوعاً لمدة طويلة.
- سنستعين اذن بقناديل الغاز. نأخذ اثنين معنا ونضيئها في غرفة

الجلوس.

قالت ذلك ولاحظت ان غاريت قد عاد الى الهدوء والسكينة. اما متى يعود ليغضب فيصعب عليها ان تعرف ذلك قبل حدوثه.

جلسا في الدار الى جانب القنديلين المضيئين. وبعد لحظات من الصمت لمس غاريت واحداً من القنديلين قائلا:
- ما اجمل هذا القنديل انه يلفت النظر في أفخم مخزن في بوند ستريت.
وضحكت هولي معلقة:
- لكنهما قديمان جداً، أذكر، حين كنت صغيرة، ان السماح لي باضاءتها كان بمثابة مكافأة.

كادت تغص بهذه الكلمات، ثم تنهدت تنهداً عميقاً، ولم تشأ ان تتابع الحديث عن ذكريات احبت ان تحتفظ بها لنفسها بدون ان تدفعه يشاركها اياها، وشاءت ان تغير الحديث فسألته:
- هل كنت تعرف سابقاً كيف تضيء، مثل هذه القناديل؟
- لا، ولكن أحب ان أتعلم دائماً.

كانت هولي تتابع تحركات ظله المنعكس امامها على جدار الغرفة المظلمة. وتحاول عبر هذا الظل ان تستعيد كل قصتها مع هذا الرجل الجالس الآن امامها يحدثها بكل رفق وهدوء.

بعد قليل انطفأ واحد من القنديلين لنفاد الكاز منه. فقام غاريت، ومعه المصباح اليدوي الكهربائي، وملأ قاعدته الزجاجية بالكاز في المطبخ ثم عاد بهدوء الى غرفة الجلوس وسأل هولي كيف يضيئه، فأعطته علبة الكبريت شارحة لغاريت طريقة انارته. ثم جلست تراقبه كيف يعالج القنديل، وانتبهت لدقة يديه وهما تعملان ولطول اصابعه. وبعد قليل تمكن من اضاءة القنديل وقال لهولي:
- هل قمت بعملي بصورة صحيحة؟

قوي النور في غرفة الجلوس واتضحت الظلال وكبرت ثم تحركت بتحركه ونهوضه واختفى بعضها فسأل:

- أين تذهب هذه الظلال؟

وأجابت هولي:

- بعضها نحو الحائط والبعض الآخر نحو طاولتك بقرب النافذة حتى تتوزعها الغرفة بكاملها. اذا أردت ان تطالع يمكنك ان تأخذ واحداً من القنديلين.

وفجأة وضعت يدها على فمها ثم قالت:

- آه، كنت أعد الحساء، نسيت ذلك، عليّ ان أقوم وأتابع عملي في المطبخ.

أخذت قنديلا وخرجت به على مهل، فهو ثقيل وتخشى ان يقع وينكسر، تبعها غاريت قائلا:

- كان عليّ عن احمله عنك، فثقله يزعجك.

نظرت اليه ولاحظت لون جلده الباهت وسط الظلام. كما انتبهت لمعالم وجهه التي بدأت تلين. وفيما هي تضع الحساء فوق النار أجابت:

- لكنني تعافيت الآن، وأنا معتادة على حمل هذه القناديل.

- أعلم ذلك، وقد فكرت ان أعود الى منزلي غداً. اما الآن، فقد يكون من الأسلم ان نبقى هنا معاً.

- اعتقد ذلك، خاصة ان الطقس العاصف الرديء قد يؤدي، ليس فقط الى قطع الكهرباء، بل الى قطع المياه ايضاً.

وضحك معلقا:

- سنهتم بذلك حين تنقطع المياه. وفي أسوأ الاحتمالات سوف نشرب من مياه الثلج.

صحيح، ثم لا بد من مرور بضعة أيام، بعد ان تنحسر العاصفة الثلجية عن ستراثمور، لكي نتمكن من الوصول الى كيشارد. فثمة اماكن أهم موقعاً من مكاننا.

- لا بد من محاولات جادة لفتح الطرقات.

كان مصراً على عدم البقاء طويلا حيث هو الآن. ولم تدرك هولي

لماذا.

- نعم. لا بد من فتح الطرقات وعلينا ان نستمع الليلة الى اخبار نشرة المساء. لو كنا نكتفي بالأخبار لكانت البطاريات تعمل لمدة أطول. المعذرة. فلنتناول هذا الحساء قبل ان يبرد.

وأخذت هولي تفكر: لماذا تهتم برحيله الى هذه الدرجة فهي لم تطلب منه المجيء. ثم ستكون مناسبة لها لكي ترتاح من مزاجية هذا الرجل...

تناولا الحساء الساخن مع شرائح الخبز المحمص وهما جالسان قرب المدفأة. كان على هولي ان تطرد باستمرار القطط من حولها. اثنتان منها اعتادتا ان تقضيا معظم الوقت قرب سرير غاريت سعياً وراء الدفء. ووسط هذا الظلام بدا المنزل مختلفاً مع القنديلين وبعض الدخان. كذلك بدت الظلال كثيفة متراقصة على الجدران والنوفذ والسلالم. وأشكال الأشياء بدت أقل حدة من ذي قبل: المقاعد والمائدة... وغاريت. بماذا تراه يفكر الآن؟ هل عدل عن مغادرة المنزل بسبب انقطاع الكهرباء ام لسبب آخر؟ انها التجارب الصعبة التي يمران بها معاً، والتي انعكست على تصرفات غاريت. فقد بدأت هولي تلاحظ تبدلا في سلوكه وحركاته.

عاوده الغضب ثانية. رأت هولي معالم هذا الغضب على وجه غاريت. تأكدت من ذلك وكأنها تقرأ في كتاب مفتوح. تنهدت قليلا وأدركت فجأة سبب هذا الغضب. ثمة دافع في أعماقها يؤكد لها حقيقة ذلك.

وانكسر جدار الصمت بينهما بكلام غاريت:

- سأذهب لأتفقد الكلاب.

وتذكرت هولي ان جهاز التدفئة معطل بسبب انقطاع الكهرباء، وان الحيوانات، لا شك، تعاني من البرد. وتطلعت نحو غاريت قائلة:

- علينا ان نشعل المدفأة للحيوانات.

رمى غاريت صحن الكرتون ومحزمة الورق فوق النار ثم قال:

- انا اقوم بذلك. آتي بالكاز من البرميل، أليس كذلك؟
- نعم. ولكن يصعب عليك ان تقوم بهذا العمل بمفردك لذا سوف. . .
- لا بأس، سوف أتدبر الأمر.

قال ذلك بنبرة حاسمة ثم أردف يقول:

- احضري انت طعام الحيوانات ثم آخذه لها بعد اشعال المدفأة.

أخذ غاريت القنديل اليدوي ودخل المطبخ. تبعته هولي مدركة ان لا فائدة من الجدال. رغم ذلك قالت له:

- يمكنني المجيء لمساعدتك. فأنا أعرف بذلك اكثر. . .

بعد ان جاء بالكاز من البرميل قال لها، والظلام يحيط بها من كل جانب:

- سوف أعود بعد دقائق، وأتأكد من فعالية التدفئة قبل ان أطعم الحيوانات.

وذهب قبل ان يسمع جواب هولي التي عادت الى المطبخ وأخذت تعد طعام الحيوانات. جاءها كل من سموكي وكازان اولا فأطعمتهما بعد نوم دافىء وهنيء. وفيما هي تطعمهما وتتابع اعداد ما يلزم للآخرين راحت تفكر متسائلة: «من تراه يظن نفسه؟ لا يعرف سوى اعطاء الأوامر. افعلي هذا ولا تفعلي ذلك».

وشعرت، لوهلة اولى، انها تريد التمرد كتلميذة صغيرة في المدرسة. ولكنها، مرة اخرى، تجد نفسها عاجزة عن التمرد او الرفض او المقاومة. انه يتصرف على هواه ولا يعيرها انتباهاً او يأخذ بكلامها.

شاءت ان تأخذ طعام الحيوانات بنفسها فتخرج الى الحديقة، لأول مرة بعد ان قامت متعافية من حادث وقوعها. زلقت رجلها قليلا فكادت تهوي على الأرض. لكنها تمكنت من ان تتمسك بالطاولة المجاورة فأنقذت نفسها من وقعة أخرى.

خرجت امام باب المنزل فلفحها الهواء القارس الذي اشتاقت اليه بعد هذه المدة الطويلة في الداخل. تنشقت هولي الهواء المنعش وفكرت كم تكون مسرورة برؤية الحيوانات بعد غياب طويل. ثم لا شأن لغاريت في ان يملي عليها ماذا يجب ان تفعل او لا تفعل. مشت ببطء وحذر حتى وصلت الى بيت الحيوانات وسط رشات خفيفة من الثلج المتساقط. كان الصمت مخيماً على المكان وهولي تكاد لا تسمع سوى همس الطبيعة بسكونها الابيض وهي تمشي نحو بيت الحيوانات. ثم رأت الكلاب تقفز وتنبح مرحبة بغاريت الذي سبقها الى هناك. وما ان اقتربت هولي حتى نظر اليها غاريت نظرة لا تنبىء عن سروره فقال:

- اعتقد انني قلت لك ان تنتظري في المنزل.
- اعرف ذلك. ولكن فضلت المجيء الى هنا.

قالت ذلك بهدوء وبشاشة لأنها لم ترد ان تدخل في جدال معه، كما انها لا تتلقى الأوامر منه، في كل حال.

قفزت الكلاب على هولي مرحبة ومداعبة اياها، متناسية غاريت، مبدية شوقها اليها بعد غياب دام اياماً. انحنت هولي امام الكلاب وأخذت تداعبها بدورها قائلة:

- هذه الكلاب رائعة حقاً.

كان أشد الكلاب حماسة هربرت الافغاني الذي كاد يطير فرحاً فالتفتت هولي نحوه قائلة:

- لا بأس، تعال كي اطعمك.

انزلت الصحون المعدنية عن الرف الجانبي امام حوض الماء. وفيما هي تسكب قطع اللحم الساخن للحيوانات الجائعة لاحظت غاريت منهمكاً باعداد التدفئة الضرورية. لم يتضح لها تماماً ما الذي كان يقوم به وسط الظلام. كل ما اتضح لها، في تلك اللحظة، ان غاريت كان في حالة من الغضب الشديد. بدأ قلبها يخفق بسرعة. ولكن لمَ الاهتمام بالأمر؟ فكرت كذلك بنزعة متمردة. وحقيقة الأمر

انها كانت مهتمة فعلا. بعد ان أبدت عصيانها لأوامر غاريت، شعرت بحاجتها الماسة لأن تعود الى المنزل وتجلس قرب المدفأة في غرفة الجلوس.

راحت تراقب الكلاب وهي تلتهم الطعام وشعرت بأن عيني غاريت مسمرتان عليها.

- سوف... سوف أعود الآن.

قالت ذلك. ثم جمعت الأواني الفارغة وعادت بها الى المنزل فيما كان الهواء القارس يلفحها ويترك بعض الألم في حلقها.

انتظرت غاريت ليعود. لكنه تأخر، فقامت وأعدت فنجاناً من الشاي وجلست تشربه وكأن شيئاً لم يكن.

وما ان فتح باب المنزل حتى انتبهت هولي للأمر وتوقعت حدوث معركة كلامية بينهما. اذ علمت، بحاسة سادسة، انه غاضب وان هذا الغضب لن يمر جزافاً.

دخل غاريت المنزل وأغلق الباب خلفه ثم تقدم نحو المدفأة ونظر الى هولي قائلا:

- لم أقل لك ان تبقي هنا لمجرد القاء الأوامر. قلت ذلك خوفاً من ان تقعي ثانية. تصوري لو وقعت ثانية وكسرت رجلك مثلا، ماذا كان حصل؟

لم تتوقع هولي ان تسمع ذلك منه خاصة انه كان يتكلم بهدوء، لذلك اجابته بهدوء ايضا:

- ولكنني لم أقع. مشيت بحذر شديد. وكنت بحاجة الى الهواء النقي.

وابتسم قليلا ثم أجاب:

- نقي؟ كان بامكانك ان تقفي امام الشباك لو كان ذلك ما تطلبين.

وقفت هولي ووضعت فنجان الشاي جانباً. ولم تتمكن من اخفاء بعض غضبها بينما كان هو متمكناً من ضبط نفسه بسهولة تامة. ولم

تعرف سبباً لذلك، غير انها قالت له:

- انت لا تقدر ظرفي. لقد تعبت من البقاء هنا داخل المنزل طوال الوقت مع... معك وحدك.

- صحيح؟

أجاب بشيء من السخرية ثم تابع قائلا:

- وكيف تقدرين انت مشاعري؟ اكيد أنا لست في نزهة هنا.

- انا لم أطلب منك المجيء. كان بامكاني ان أتدبر امري بنفسي.

- لكان ذلك جحيماً بالنسبة لك.

وتواجها كما يتواجه مصارعان على حلبة المصارعة. كان ذلك متوقعاً، بل محتماً عليهما منذ ان دخل غاريت المنزل لمساعدة هولي منذ انقطاعهما وسط الثلج. وها هي هولي الآن تواجهه مستعدة للمنازلة بل للجدال والشجار الحادين، اياً كان الموضوع.

- عرفت سابقاً كيف أتدبر امري.

وحدقت عيناها الواسعتين نحوه، ثم تابعت تقول:

- كنت طفلة يوم كنت أتردد الى هذا البيت. وكنت أعرف كيف أتدبر امري. اما انت فلا تعرف حتى كيف تشعل قنديلا على الكاز.

وحاولت اخفاء ضحكة عابرة. فانتبه غاريت لذلك وقال برقة متناهية:

- يبدو انك تتدرجين في كلامك الى ان تصلي الى الشتائم الشخصية. ولكن لا بأس. فأنا أفهم ذلك. في كل حال انت ما تزالين فتاة صغيرة، في الثامنة عشرة من عمرها، أليس كذلك؟

- انا امرأة، كما تعلم بالتأكيد.

ردت بعنف، ثم تابعت:

- انت لم تعانق فتاة صغيرة، تلك الليلة، في اللاندروفر. لا شك

انك أعتدت لما حصل، أليس كذلك؟

ثم قلدته بقولها:

- اسف ان يكون البنزين عندي قد نفد.

وبعد قليل تابعت تقول:

- اعجب كيف ان مايك لم يلاحظ صفيحة البنزين.

وعلق غاريت بصلابة وثقة بالنفس:

- تابعي كلامك وكاشفيني بكل ما يختلج في صدرك. فهذا يريحك وأنا استطيع ان اتحمله. فالقطة الشرسة الحمقاء فيك بدأت تستيقظ. انا واثق انك ما أظهرت كل ذلك لمايك. أليس كذلك؟ وفي كل حال فالكولونيل رجل ثري فبامكانك ان تخفي أكثر من ذلك بكثير.

- كيف تجرؤ على مثل هذا الكلام؟

- انه دوري الآن. اذ أكاد انسى الشتائم لقلة الممارسة لكنها تعاودني الآن خاصة انك، على ما يبدو، تستهوين الخصومة. لا بد ان تري وجهك الآن، يا هولي.

حاول ان يلمس خدها فصدته بعنف وبسرعة. فضحك وقال:

- هذا افضل. ثم أرى ان حيويتك قد عادت اليك على افضل ما يرام. انا آسف لمايك فهو لا يدرك حقيقة امرك.

وأجابت على الفور:

- وكذلك لورا، فهي لا تدرك امرك، ان كنت على شاكلة والدك.

لاحظت علامات الغضب على وجهه من جديد. وأدركت انها قد تجاوزت، بهذا الكلام، كل حد. لكنها تمكنت من ضبط نفسها، وبعد قليل سمعت كلاماً لم تسمعه من قبل.

- وأنت ايضا على شاكلة امك، نعم، والى حد بعيد.

كان يتكلم بمرارة وحرقة، وكان وجهه كوجه رجل غريب.

- ماذا قلت؟

سألت هولي بانتباه كلي وهي تتوقع حدوث ما لا يحمد عقباه.

- سمعتني... سمعتني أقول انك على شاكلة امك. ولا تقولي لي انها لم تخبرك.

- تخبرني؟ عما تخبرني؟

وشعرت انها تكاد تهوي على الأرض. لكنها حاولت ان تحافظ على رباطة جاشها ثم قالت:

- الأفضل ان تخبرني ماذا تعني.

- بكل سرور. ولكن من الأفضل ان تجلسي اولا لأنك ستفاجئي بعدد من الأمور.

وقف بقامته الفارغة وأنصتت هولي بكل حواسها:

- لا داع لأن اجلس اذا ما أردت ان تخبرني شيئاً.

كان الضوء باهتاً. وبعد لحظات قال غاريت بهدوء وبرودة اعصاب:

- انت تعتبرين والدي رجلا مجرماً. وربما كان كذلك وما يزال. ونعرف جميعاً وجهة نظرك في هذه القصة. وعليّ الآن ان أوازيها بالشق الآخر من القصة. الشق الذي لا تعرفينه. فقد كانت لديه أسباب لما قام به. انا لا أقول انه كان على حق. ولكن آن الأوان لأن تعرفي الحقيقة. كانت والدتك على وشك الزواج من والدي حين عرّفها على صديقه المقرب جيمس تمبلتون. وبعد اسبوعين هربا معاً وتزوجا. لو لم يحدث ذلك لكانت امك زوجة لأبي.

وامتقع وجه هولي التي قالت بهمس:

- انا لا أصدقك. انت كاذب.

واتسعت حدقتا عينيه فأجاب:

- وهل تعتقدين انني أكذب في أمر كهذا؟

- ولكنك فعلت، بالنسبة لاسمك.

- لا. اسقطت «غرين» حين جئت الى هنا. وكانت لدي

اعذاري .

- رغم ذلك فأنا لا أصدقك . انت تختلق هذه القصص للتعويض عما مضى .

وبعد لحظات قالت:

- انت مثله مجرم خطر.

كان يتنهد بسرعة فائقة كأنه عائد من الركض . ولكنه ضبط نفسه مرة أخرى ليتابع الكلام:

- كانت سكرتيرة لوالدي يوم كان مكتبه صغيراً، وقبل ان يصبح ثرياً. اعود الى احدى وعشرين سنة مضت، يوم كانت امك تعمل عند والدي حين ارتكب الخطأ الفادح بأن عرفها على والدك . يومها كان والدك ثرياً.

وبعد ان ابتسم ابتسامة صفراء قال:

- لم تخبرك والدتك كل هذا. أليس كذلك؟

وبحركة عصبية غاضبة ارتمت هولي عليه محاولة اسكاته . فهي لم تعد تتحمل ان تسمع المزيد.

- انت. . . اكرهك، اكرهك.

وحاولت ان تغرس أظافرها في وجهه فمنعها وامسك بها بكل قواه وأوقفها بجانب المدفأة، وشعرت هولي بكل قوته التي تفوق تصورها. فحاولت الافلات منه قائلة:

- انك تؤلمني، دعني. . .

ورأت الغضب يتطاير من عينيه . ثم سمعته يجيبها:

- بودي ان أؤلمك.

ودبّ الذعر في نفس هولي، وأدركت انها خائفة من قوة هذا الرجل. وبعد لحظات سمعته يقول:

- انت لا تحبين ان تسمعي الحقيقة. لا تتحملين ذلك. اذ قد يؤدي الى تحطيم عالم الأحلام الذي تعيشين فيه . لقد آن الأوان لأن تكبري وتتعلمي بعض حقائق الحياة. وان تدركي ان ليس للأشياء

وجه واحد. ثمة وجهان او اكثر لكل ما يحيط بنا. انا لا أتفق مع والدي . لقد تشاجرنا مراراً حول عمله وحول كل ما يقوم به لدرجة انني تركت منزل والدي لأبدأ حياتي المستقلة. منذ عشرين سنة كان رصيده في البنك لا يتجاوز المئتي ليرة انكليزية، ولم يكن لديه سوى ابن واحد ليهتم به . كان يؤمن بالعمل الجاد. وقد صدم حين غادرته والدتك، هكذا بدون سبب. لذلك قرر ان يؤكد لوالديك انه افضل من الجميع.

صحيح انه انتقم، وانه قام بما لا يقوم به اي رجل محترم فظل يلاحق والدك وينافسه في عمله حتى قضى عليه، ظاناً ان لديه الأسباب الكافية لمثل هذا العمل. وأعتقد ان والدتك اخبرتك كل شيء ما عدا ذلك.

بعد ذلك ارتاح وجه غاريت وافلت هولي من بين يديه، فكادت تهوي على الأرض وتفقد طعم الحياة كما شعرت بأنها لا تقوى على الحراك.

انصرف غاريت عنها قليلا ثم عاد ليكمل كلامه:

- انت تشكين من كثرة الدلال وقلة النضج. ثم اياك ان تصفعيني ثانية والا ستندمين.

- لا أريد ان المسك من جديد.

كانت تتنهد بصعوبة وكأنها تحاول عبثاً ان تهضم الكلمات الصعبة التي سمعتها. شعرت بالبرد وكأن النار قد انطفأت في المدفأة. لكن النار كانت ما تزال مشتعلة. اخذت ترتجف وتقاوم رغبتها في البكاء. لقد قررت عدم البكاء ليس امامه، ابداً. قامت بصعوبة الى المطبخ وهي ترتجف. وشربت كأساً من الماء لترتاح قليلا من الصدمة. ثم خرجت بدون ان تلتفت يميناً او يساراً لترى غاريت، بل تابعت طريقها الى الطابق العلوي، حيث ملأت كيس الماء الساخن وأخذته معها الى الفراش لتنام بعد كل هذا الارهاق الفكري والجسدي.

وكان غاريت ما يزال واقفاً بجانب المدفأة مطرقاً يفكر وكأنه في عالم

آخر.

في صباح اليوم التالي نزلت هولي من غرفتها الى الطابق الأرضي وشعرت بالبرد القارس. فلا نار بالمدفأة ولا أثر لأية حرارة في المنزل. كان سموكي وكازان يغطان في نوم عميق. وما ان سمعا وقع اقدام هولي حتى استيقظا وأسرعا نحوها، فيما كانت متجهة نحو الباب الخارجي فتحته متوقعة ان يلفحها الصقيع واذ بالشمس تطل من وراء الغيوم والبرد القارس ينحسر ويحل محله هواء بارد منعش. ربما يتحسن الطقس ويفك الحصار الثلجي فتتخلص من هذا الوضع الذي لا يطاق في المنزل. عادت الى غرفة الجلوس وأضرمت النار في المدفأة. كان غاريت هناك. وقررت الا تكلمه ولا تطلب منه شيئاً بعد اليوم.

فهي لا يمكنها ان تقبل ما تلفظ به مساء البارحة. وأدركت الآن انه لم يعد باستطاعتها ان تبقى في رونابيد. وسوف ترحل حين يذوب الثلج وتعود عمتها الى المنزل. ولن ترجع الى هذا المكان طالما غاريت موجود فيه. علمت هولي كم يؤلمها هذا القرار، فهي تحب عمتها ولكنها علمت ايضا كم ان غاريت لا يطاق. فلا سلام لها في هذا المنزل طالما هو باق في ارجائه. وشعرت بشيء من الارتياح بعد ان اتخذت هذا القرار الضمني.

سمعت حركة قام بها غاريت لكنها لم تلتفت. بل راحت تتأمل النار المشتعلة والحطب المحترق وألسنة اللهيب المتصاعدة من المدفأة. وبعد قليل قامت الى المكتبة وتناولت احد الكتب. ثم نظرت اليه وفاجأتها معالم وجهه. كأنه لم ينم طوال الليل شعر اشعث وعينان جاحظتان محمرتان وذقن غير محلوقة... اقتربت هولي منه قائلة:

- أقسم لي ان ما قلته لي البارحة هو الحقيقة.

كان صوتها متهدجاً لكنها كانت مسيطرة على نفسها اذ تمكنت من ان تبعد عنها كل المشاعر التي قد تثيرها. وبعد لحظات اجاب

غاريت:

- لا. لن افعل.

- لأنك كذبت؟

- لا. قلت الحقيقة. ولكن... ربما لم يكن من المستحسن ان أقولها لك بالشكل الذي قلته. ربما لا حق لي بذلك. لقد قلتها بطريقة قاسية أنا آسف لذلك.

- لا اهتم لهذا الموضوع ولا اريدك ان تتأسف. كل ما أريده هو ان اعرف ما اذا كانت تلك هي الحقيقة ام لا.

- نعم. نعم. تلك هي الحقيقة.

ثم أضاف بعد دقائق:

- سوف تخبرك عمتك. هي تعلم ذلك منذ عشرين سنة. تعلم كيف التقى والدك بوالدتك.

وتوقف قليلا امام صرخة هولي من الألم ثم أردف قائلا:

- لذلك أرادت عمتك ان أبقى في المنزل يوم اكتشفت حقيقة امري.

ولأول مرة منذ عرفته رأت هولي معالم الألم والحرقة منطبعة على وجه غاريت. ولكن ألمه لم يكن ليقارن بالمها. وارتاحت بعض الشيء حين أدركت ان شيئاً ما قد آلمه اخيراً. تنهدت طويلا وقالت:

- لا أريد ان أكلمك بعد اليوم. وحين تعود عمتي سوف أرحل.

وأدارت طرفها واتجهت نحو المطبخ بكبرياء ظاهر. وبعد لحظات سمعته يقول:

- لا حاجة لك لأن ترحلي. فان كان لا بد لأحدنا ان يرحل فأنا الذي سيفعل ذلك. انا اقبل ذلك. لا تجزعي. ما ان تفتح الطريق حتى أتوارى عن الأنظار. ولن تريني بعد ذلك.

بعد ان استمعت هولي الى هذا الكلام تابعت طريقها الى المطبخ

لتعد بعض الشرائح من الخبز المحمص مع الزبدة. لم تكن جائعة بل كان الألم يتآكلها والكآبة تغمرها والحزن يلفها حتى الموت.

٨- احبك يا هرتي الصغيرة

في احد الأيام كانت هولي منهمكة باطعام القطط أمام الباب الخلفي من المنزل. وفجأة سمعت صوت سيارة مقبلة من بعيد. مرّ زمن ولم تسمع مثل هذا الصوت، وسط الحصار الثلجي والصقيع والانقطاع عن العالم. ترى من يكون القادم؟ أهي جرافة لفتح الطرقات؟ تتمنى ان يكون ذلك. دخلت هولي الى المطبخ وانهمكت بغسيل الصحون.

لم تتكلم هولي مع غاريت منذ الصباح. وكأن الكلاب شعرت بالجو المشحون في البيت فظلت صامتة وقابعة في مكان منزو تحاشياً لأية مشكلة. كان غاريت منكباً على الكتابة يطبع على الآلة الكاتبة ويبدل في الأوراق ويعود الى الكتب منصرفاً بكليته الى عمله، في حين

أخذت هولي تشغل نفسها في أعمال المطبخ وكأنها وحيدة في المنزل. حاولت ألا تشغل فكرها بأي شيء آخر لكنها عجزت عن ذلك. في كل حال لقد أكد لها غاريت انه سيرحل، فلن تعود تراه أبداً. ثم... قد تتزوج من مايك. وأخذت أفكارها تتداعى حتى تذكرت لورا من جديد. ماذا عن لورا؟ ماذا لو تزوجت غاريت؟ واذا تم كل ذلك فسيصبح غاريت قريباً لها. لا، لن يفعل هذا. واذا فعل فسوف يعيشان في المدينة. لقد أكد لها مايك ان لورا لن تبقى طويلا في الريف. ربما تتمنى لو تغادر الريف الآن الى المدينة. ولكن ليس قبل ان تتمكن من رؤية صديقها. كانت هولي منهمكة بتحضير بعض الفطائر بدلا من شرائح الخبز. لكن تلك الأفكار شغلتها وأتعبتها. وعبثاً حاولت ان توقفها او ان تسقطها من حساباتها. غير انها عادت الى نفسها قائلة انها يجب ان تتوقف عند هذا الحد خاصة بعد التجربة الأليمة والمريرة التي مرت بها بسبب وجود غاريت معها تحت سقف واحد. يجب ان تكف عن التفكير به بأي ثمن.

وبعد لحظات سمعت طرقات على الباب. فأسرعت بدون ان تلتفت الى غاريت وما ان فتحت حتى فوجئت بمايك واقفاً امامها وآثار الثلج على ثيابه. انشرح صدرها وبادرته قائلة:

- آه... مايك، هذا أنت. أدخل. أدخل.

وبعد ان دعته الى غرفة الجلوس نظرت اليه بعينين مشعتين ثم سألته:

- كيف تمكنت من الوصول الى هنا؟

- قضيت ساعة كاملة على الطريق وأنا أحاول ان أقطع المسافة وسط الثلوج مستعيناً بحذاء قديم للتزلج وجدته في المرآب.

والتفت جانباً فرأى غاريت هناك. فوجىء بالأمر لكنه عرف كيف يخفي دهشته. ثم حياه قائلا:

- مرحباً. لم أرك. الظلمة تخيم بسرعة.

وبعد قليل تناول رسالة من جيبه وقال:

- لديك رسالة من لورا.

واعطاه اياها. فأخذها غاريت شاكراً ثم قال:

- أرجو المعذرة. سأذهب لأتفقد الكلاب.

وخرج غاريت بهدوء. وانتظر مايك حتى رأى الباب يقفل فالتفت نحو هولي سائلا:

- آه... ما القصة؟ يبدو ان غاريت كان هنا منذ فترة طويلة.

- لا استطيع ان أخبرك الآن، يا مايك، ولكني لا أكلمه الآن. ولا أريد ان أتحدث في هذا الموضوع. آسفة.

بعد قليل شاءت ان تغير الحديث:

- ماذا تريد ان تشرب؟ شاي، قهوة؟

- اي شيء. لا بأس.

وفيما هو يتبعها الى المطبخ قالت له:

- سوف أضع هذه الفطائر في الفرن فيمكنك ان تأخذ بعضاً منها الى المنزل. كيف تتدبرون أمركم في هذه الظروف الطبيعية القاسية؟

وضحك مجيباً:

- الوضع مقبول حتى الآن وذلك بفضل الخادمة. انها من سكوتلندا. وكل شيء مؤمن لها في البيت. ووالدي مسرور جداً. لقد تغير كثيراً. انه يعاملها معاملة حسنة جداً خوفاً من ان تتركنا.

وابتسمت هولي. كان مجيء مايك كهبة نسيم عليل بعد ان كادت تختنق من الجو المشحون الذي خلفه وجود غاريت معها. تحدثا طويلا وهما يشربان القهوة قرب النار. وغاريت لم يعد. مرت ساعة وأكثر لغيابه فانتبه مايك وقال:

- عليّ ان أعود الآن. ورغم اني لا أرغب في ذلك، لكن لا بد ان ارى طريقي قبل حلول الظلام.

- أكيد. كنت سعيدة جداً يا مايك لقدومك.

وأضاءت القنديلين فيما هو يبحث عن معطفه ليرتديه. وسألته هولي:

ـ هل تأخذ معك علبة من الحليب المجفف كهدية؟

ـ لا. شكراً. سأحاول غداً الذهاب الى القرية وفي كل حال فقد اخبرنا حارس المنزل ان جرافة للثلج ستصل اليوم او غداً على ابعد تقدير.

ـ آمل ذلك.

وجاءت له ببعض الفطائر. فشكرها، وفيما هو واقف امام المدخل الخارجي نظرت اليه بعينين حزينتين وتنهدت:

ـ آه، يا مايك.

ـ هولي، ما بك؟ هل السبب غاريت؟

ـ نعم انه السبب. انه...

وتوقفت عن الكلام حين رأت غاريت قادماً بقامته الفارعة وبدت خائفة واجمة لا تعرف ماذا تقول. وقف الرجلان وجهاً لوجه وشعرت هولي بالموقف الحرج خاصة حين وجه مايك السؤال لغاريت:

ـ ماذا فعلت لهولي؟

وأجاب غاريت على الفور:

ـ ولماذا لا تسألها؟

شدت هولي على ذراع مايك قائلة برجاء حار:

ـ ارجوك، مايك، اترك هذه المسألة.

وانتفض قائلا:

ـ اكيد سأتركها.

والتفت نحو غاريت معلقاً:

ـ هولي ارتجفت كفأرة صغيرة حين دخلت. وتبدو آثار الخدوش على وجهك. ماذا يفترض بي ان أظن؟ لا بد من سبب لهذه الخدوش.

ـ وما هو السبب برأيك؟

اقترب غاريت من مايك بعينين جاحظتين وبمعالم من الغضب أدركت هولي خطورتها.

ـ قل لي. وسأكتفي بالضحك.

وأجاب مايك بانزعاج:

ـ لا داع لأحدد لك السبب. في البداية كانت لورا والآن هولي، انت تنتقل بسهولة من فتاة الى أخرى. ولدي العذر الكافي لصفعك الآن.

وضحك غاريت معلقاً:

ـ لا يا ماكي. أنا لا أقاتل، ولا أؤمن بالعنف. هدىء من روعك... أنا ذاهب الى غرفتي.

وشعرت هولي بالقرف حتى التقيؤ. وفيما غاريت يصعد سلم المنزل قالت بصوت مرتفع واضح:

ـ عليّ ألا اكترث به، يا مايك. انه جبان.

وتوقف غاريت فجأة والتفت نحو هولي وقال لها:

ـ يمكنك ان تفكري كما تشائين.

وتابع طريقه. وساد الصمت الذي لم يخدشه سوى وقع اقدامه وصوت باب غرفته الذي أغلق بعنف.

ـ يا الهي، لا تقولي لي انه ينام هنا.

نعم. ولكن ليس الأمر كما تعتقد يا مايك. لقد اخبرني شيئاً عن امي. شيئاً لم احتمله. ولذلك كانت تلك الخدوش على وجهه. وقد جاء الى هنا لأنني وقعت على الثلج وجرحت ذراعي. وهو... لم يمسني. اقسم لك انه لم يمسني.

كانت ترتجف فأخذها مايك الى غرفة الجلوس.

ـ أنا آسف يا هولي. آسف ايتها الفتاة الصغيرة.

والتفت الى سقف الغرفة ثم تابع كلامه:

ـ حين جئت الى هذا المنزل شعرت بوجود امر غريب. انا آسف. لقد ظننت انه حاول ان يستغل فرصة وجوده معك.

ـ لا. لا. أنا اكرهه. اكرهه.

وحدق بها مايك مستغرباً:

- اصحيح يا هولي؟ هل تكرهينه حقاً؟
وأجابت متنهدة:
- لست أدري.
- أعتقد انك تعرفين.
- لا. لا.
وفيما هي تؤكد النفي، اسرعت دقات قلبها وألقت على مايك نظرة يائسة وهي تقول:
- ماذا عليّ ان افعل يا مايك؟ هل جننت؟
عانقها بلطف وأجاب:
- لا. لا اعتقد ذلك. انت في كامل وعيك وتألقك الرائع.
وبعد ان ابتسم قليلا تابع يقول:
- انا ذاهب الآن يا عزيزتي. وسأعود حالما اتمكن من ذلك. لا تجزعي.
ولمست ذراعه بلطف معلقة:
- انت صديق عزيز.
- اعرف ذلك. ومع عودتي الى المنزل سأقوم بجهد كبير لتحقيق امر ما. وحين اقول ما يجب قوله قد اجد تجاوباً اكثر حرارة من السابق.
بهذا الكلام الغامض ودّع مايك صديقته هولي وانصرف بدون ان يشرح لها ماذا عنى بكلامه، رغم توسلاتها والحاحها.
كانت هولي تدرك، تمام الادراك، انها تحب غاريت رغم كل شيء. ادركت ذلك منذ البداية. ولكن هل انكشفت حقيقة مشاعرها امام مايك؟ قلقت هولي كثيراً تلك الليلة. لم تتمكن من النوم بسهولة. اخذت ترتجف في السرير وكأن حرارتها مرتفعة جداً. وضعت يدها على جبينها الحار. وقالت لنفسها ان غاريت هو الرجل الذي تحبه. ولا مجال لخداع نفسها بعد الآن. ازعجها الارق تلك الليلة، اذ لم تتمكن من النوم لحظة واحدة. فقررت ان تجلس في

فراشها مستسلمة لأفكارها.
لا صوت في غرفة عمتها. كان غاريت قد غادر الى منزله وبقي هناك ينتظر ذهاب مايك. ثم عاد ومعه بعض ثيابه. وقبل ان يفتح الباب الخارجي قال:
- سوف ارحل. سآتي بما تبقى من امتعتي صباح الغد. سأطعم الكلاب الآن وأتفقدها في المساء. ارجو ان تعدي الطعام لها وسآخذ هذا الطعام حوالى الساعة التاسعة.
قال ذلك وانصرف. كان وجهه شاحباً لا يحمل أي لون او تعبير. كان متعباً حتى الارهاق. وترك ذقنه تسترسل بلا حلاقة وكانه لم يعد يأبه لشيء. وربما اصبح كذلك، لم يعد بالفعل يكترث لشيء.
انصتت هولي لكلامه بدون ان تتكلم. راقبته من بعيد يغادر المنزل ويعود من حيث أتى، الى صقيع بيته، وهي تراودها بعض المشاعر التي لم تجد ما تعبر به عنها، بعد حين أطلت من النافذة ولاحظت الدخان يتصاعد من مدخنته. اذن فهو ينعم ببعض الدفء. ولا بد انه وجد قنديلا يضيء به منزله. وابتعدت هولي عن النافذة مدركة ان شعوراً ما يؤلمها في أعماقها وسوف يلازمها زمناً طويلا.
نزلت الى الطابق الأرض، اعدت الشاي ثم عادت الى غرفتها وشعورها بالوحشة يتضاعف، ولكنها وحشة مختلفة هذه المرة. حاولت ان تنسى همومها لتتمكن من النوم ولو لبضع ساعات.
حلمت حلماً مزعجاً عن هجوم تعرضت له الكلاب من ذئاب الغابات المجاورة. وأخذ النباح يعلو ويعلو حتى استيقظت من النوم واذ بالحلم يتحول حقيقة. نعم انها تسمع نباح الكلاب. نهضت بسرعة من السرير ووضعت شالا على كتفيها وأسرعت الى الحديقة لترى ماذا جرى. في الطريق انتبهت لرائحة الحريق المتصاعد من الخارج.
ما ان اقتربت من بيت الكلاب حتى رأت وجهاً مغموراً بالدخان

الأسود يخرج من مكان الحريق وبيده كلبان يرتجفان خوفاً. فقالت على الفور:

- سأهتم بهما.

اعطاها غاريت الكلبين الصغيرين قائلا:

- ضعيهما جانباً قرب الممر.

اطاعته فوضعت الكلبين في مكان آمن ثم أسرعت الى الباب.

كان غاريت في هذا الوقت قد أخرج هربرت الافغاني الذي أخذ يئن من جرح صغير في خلفية ساقه. أخذته هولي الى المكان الآمن ثم ربتت على عنقه قائلة:

- لا بأس. لا بأس. سوف اهتم بجرحك بعد حين.

بعد عشر دقائق كانت جميع الكلاب في مأمن. ركضت هولي نحو مكان الحريق فصرخ غاريت بوجهها:

- الى أين تذهبين؟

وفيما هو يدفعها باتجاه معاكس اجابته:

- توجد مطفأة معلقة على الحائط في الداخل.

- لجهة اليمين ام اليسار؟

- لجهة اليسار ولكن...

كان غاريت قد أسرع الى ذلك المكان وسط الدخان الكثيف، فلحقت به لتساعده. النار مشتعلة خارج المدفأة ولكنها لم تمتد برغم ألسنة اللهيب والشرارات النارية المتطايرة في ارجاء الغرفة الصغيرة.

وبعد لحظات رش غاريت الزبد الابيض فوق النار واقترب اكثر فأكثر فيما طلب من هولي ان تخرج وتبتعد عن ذلك المكان. لكنها بقيت في مكانها وصممت ان تبقى بجانبه مهما كلف الأمر ولن تخرج الا اذا حملها بالقوة ودفعها خارجاً، أخذت تسعل من كثافة الدخان. لكنها تحملت كل شيء بدون ان تدري ما هو أضرّ، الدخان ام الزبد.

- اعتقد اننا تمكنا من اخماد النار. اضيئي القنديل.

وبعد ان تراجع قليلا عن مكان الحريق قال لها:

- علينا ان نخرج من هنا.

كان يسعل حين خرجا من وسط الدخان. وبعد ان هدأ سعاله توقفا قليلا امام باب الغرفة الصغيرة ليتنشقا الهواء المنعش باطمئنان وارتياح. وبعد قليل قال لها:

- سآتي بدلو من الماء وأعود بعد لحظات لأتأكد من كل شيء.

ثم اسند يده على الباب وفيما هما يتأملان خطرت لهولي فكرة:

- سوف آتي ببعض الثلج وأنثره داخل هذه الغرفة الصغيرة فلا تعود النار لتشتعل من جديد.

- فكرة ممتازة. اين الـ...

- سآتي بالوعاء. اما انت فأدخل الى المنزل لتستريح.

ثم انتبهت الى جرح في ذراعه فقالت متأثرة:

- انت مجروح!

فالتفت الى ذراعه بدون اكتراث وكأنها تخص رجلا آخر. ثم نظر اليها معلقاً:

- اهتمامك مؤثر جداً. أين الوعاء؟

وخرجت هولي وأتت بالوعاء فملأته ثلجاً وظلت طوال ربع ساعة تنثر الثلج في انحاء الغرفة الصغيرة المحترقة التي طفحت منها رائحة الحريق في كل مكان. وبعد ان انتهت من هذا العمل قال لها غاريت:

- انتهينا الآن. اما الحيوانات فسآخذها معي الى حديقة منزلي هذا المساء.

- لا. عليّ أولا ان أتأكد من ان الحيوانات لم تصب بأذى. اعلم ان الافغاني قد جرح. ارجوك.

أجاب:

- كما تشائين.

وأخذ كل منهما يمسك ببعض الكلاب ليدفع بها او يحملها الى

داخل المنزل. وعند استقبال كازان وسموكي لهذه الكلاب ازداد نباحها. وبعد قليل هدأت وأقفلت هولي الباب الخارجي في حين جلس غاريت يستريح على مقعد بعد التعب الذي حل به. ثم أسرعت هولي وأضاءت القنديلين ووقفت امام غاريت قائلة:

ـ ارجوك، دعني أرى ذراعك. يبدو ان الجرح هو نتيجة عضة من احد الكلاب.

ـ يبدو كذلك.

وجثت هولي امامه وهمها الوحيد ان تضمد له جرحه، وبعد ان تأملت جرح غاريت قالت:

ـ تعال معي الى المطبخ الآن. عليّ ان اغسل جرحك بعناية فائقة. فعضة الكلب قد تكون خطرة... ارجوك.

وبعد لحظات اجابها:

ـ لم يخطر ببالي ان أراك جاثية هكذا امامي.

ثم علق بحرقة وألم:

ـ لا تقولي لي انك تهتمين بأمري.

كادت هولي تبكي. غير انها رجته قائلة:

ـ ماذا يمكنني ان أقول؟ أرجوك ان تأتي الآن، بعد ذلك استطيع ان أهتم بالكلاب.

ـ آه. انت تريدين التخلص مني كي تتمكني من الانصراف الى الكلاب والاهتمام بها. لماذا لم تقولي ذلك منذ البداية؟

حملت هولي قنديلا الى المطبخ وهيأت الماء الساخن وجاءت بالقطن والشاش المطهر. جلس غاريت بقربها ثم أخذت تغسل له جرحه بقطعة من القماش النظيف ثم ضمدته بكل عناية. لكنها لاحظت البقع الزرقاء حول الجرح، الأمر الذي شغل بالها.

نظر غاريت الى هولي ولاحظ تبدلا في تعابير وجهها قبل ان تتمكن من اخفائها فقال بهدوء:

ـ انت حقاً منشغلة البال عليّ، أليس كذلك؟

فالتفتت نحوه وأجابت:

ـ نعم. ولا بد من ان أخبرك امراً، يمكنك ان تتعرض لمرض التتانوس بسبب عضة كلب.

ـ لن أمرض اذا كان هذا ما يقلقك. لقد عضني كلب منذ أربع سنوات تقريباً وحقنت حقنة التتانوس في حينه، ولديّ بطاقة لاثبات ذلك.

ولم تتمالك هولي من اسقاط دمعة، كانت وعدت نفسها الا تدعها تسقط امامه. أغمضت عينيها محاولة ضبط نفسها.

وسألها غاريت مستغرباً:

ـ ولماذا تبكين؟

ـ انا تعبة. هذا كل ما في الأمر.

وشعرت انها بحاجة لأن تقول له شيئاً. فتابعت.

ـ لقد اتهمتك البارحة بالجبن. انا آسفة. فأنت لست بجبان، بعد كل هذا الذي فعلته. في كل حال، انا لم اعتقد يوماً انك جبان. كان بودي ان أجرحك قدر ما استطيع.

ـ لم يؤلمني اتهامك اياي بالجبن. ولكن سبباً معيناً منعني من الرد عليه بعنف. اتريدين ان تعرفي ما هو هذا السبب؟

ـ لا حاجة لذلك.

ـ بلى. لو مسسته لربما قتلته.

ـ ولكنه ظن...

ـ ظن انني كنت اطارحك الغرام. لكنه لم يكن مخطئاً الى حد بعيد.

وبعد قليل تابع بصوت جهوري:

ـ لأنني لو بقيت هنا ليلة أخرى لـ... يا الهي. ما الفائدة؟ لقد جعلت نفسي مضحكة. انا اعرف حقيقة مشاعرك. وهذا ما دفع مايك الى الشعور بالحسد. هو على حق. لأنني أريدك اكثر من أي امر آخر، اكثر مما تعبر عنه الكلمات

ضحك وتابع يقول:

- هذه هي الحقيقة. يمكنك ان تضحكي. فأنا أتحمل ذلك. أتحمل كل شيء بعد اليوم.

وأدركت هولي انه لا يقصد بذلك النار التي أطفأها فقالت بهدوء:

- ظننت اني أكرهك. أردت ذلك لكل ما حصل. ولكنني لا أستطيع.

كان التعب قد أخذ منها كل مأخذ. لكنها شعرت بضرورة متابعة الكلام وقول كل ما في اعماقها لترتاح من هم رازح فوق صدرها منذ زمن.

- أدرك مايك حقيقة مشاعري. قال لي ذلك بكلام قليل لكنه واضح. قال لي انه علم بـ. . . بحبي لك.

وانهمرت دموعها عندئذ بدون اي تحفظ. اذ اعترفت اخيراً وقالت ما طالما حاولت ان تقوله. لقد افرغت الآن كل ما في قلبها بدون اي خوف.

وقف غاريت صامتاً وأمسك بذراعها.

وبعد دقائق قالت بصوت متهدج:

- الكلاب. أليس من الأفضل ان تتفقدها؟

- بعد لحظات.

وضمها الى صدره قائلا:

- آه، يا هولي، كم أحبك. منذ البدء وأنا أحبك.

وبعد حين سألها مستفسراً:

- أتعتقدين ان عمتك مارغريت علمت بالأمر؟

وضحكت هولي مجيبة:

- انا متأكدة انها علمت. كانت تشير الى ذلك من خلال كلمات تقولها هنا وهناك.

غمرت السعادة كيان هولي، وجددت فيها الحيوية والنشاط فانهت تضميد الجرح في ذراع غاريت. بعد تفقد الكلاب وتنظيف

جرح هربرت الافغاني، جلست هولي الى جانب غاريت في غرفة الجلوس والحيوانات تحيط بهما، وهما غارقان في حديث طويل.

- عندي سؤالان.

قالت هولي ذلك وهي تحدق في معالم وجهه الحبيب، الحبيب لآن، بعد ان كان خصماً بالأمس.

أجاب غاريت ضاحكاً:

- هيا، اطلقي النار، يا هولي.

وعانقها ثانية ثم قالت:

- أولا كيف جئت الى هنا، وليس الى أي مكان آخر؟ هل حدث ذلك صدفة؟

- ليس تماماً. كنا نأتي الى هنا لقضاء العطلة قرب كيشارد. كان ذلك قبل وفاة والدتي. لقد توفيت بحادث سيارة حين كنت في الثامنة من عمري، منذ ذلك الحين وهذا المكان يثير عندي الذكريات العزيزة والحميمة. وربما التقى والدي بوالدك للمرة الأولى في هذا المكان يوم خدما في الجيش. في كل حال لنعد الى موضوعنا حين قررت مغادرة منزل والدي رأيت ان آتي الى هذا المكان. بعت الجاكوار واشتريت اللاندروفر وجئت أبحث عن منزل في كيشارد للايجار او البيع. وأخبرتني الموظفة في دائرة البريد عن عمتك. أصارحك القول انني أتيت أولا بدافع فضولي، فاسم تمبلتون غير غريب عني، ولكن أخذت بعمتك من لحظة لقائي بها ولم أعد اكترث لأي امر آخر. ومع الأيام رحت اكتشف تدريجياً علاقتها بوالدك. وقررت ان أبقى متكتماً حول الموضوع، حتى التقيتك.

ابتسمت ابتسامة رقيقة ثم قالت:

- ولورا؟

تنهد قليلا ثم أجاب:

- صحيح. بدا الأمر على غير حقيقته.

وضمها اليه بشدة ثم تابع كلامه:

- اعني انني ما كنت أحبها ابداً. كانت علاقة عابرة لا أثر فيها للحب. أهذا ما كنت تبغين معرفته؟

- نعم... ولكن...

- ولكن لا شيء أكثر. صحيح انني كنت أدعوها لقضاء السهرة معاً في المطاعم والنوادي ولكنها كانت بمثابة صديقة ورفيقة. كنت بحاجة الى صديقة اقضي معها أوقات التسلية. هذا كل ما في الأمر. صدقيني.

- عندي سؤال أخير. ولكن... لا، لا بأس.

- اسأليني، أيتها القطة الصغيرة. لا تتوقفي الآن.

- حين وصلت الى هذا المكان وقعت على رسالة آتية من فرنسا، وأنا... لا بأس... يجب الا...

وضحك غاريت قائلا:

- انا واثق الآن، يا هولي، انك تغارين. سأريك تلك الرسالة عندما أجدها. كانت صاحبة تلك الرسالة صديقة لجدي، الذي اكتب سيرته الآن. انها في الواحدة والثمانين من عمرها.

وبعد لحظات تابع حديثه عن جده:

- سأخبرك عنه يوماً. كان رجلا مدهشاً. مكتشف ومهندس ومخترع، كان كل شيء تقريباً. كنا صديقين وترك لي كل ورثته. فلا حاجة لي للعمل بعدما حصلت على هذا الارث.

ونظر اليها مداعباً:

- الا اذا اعتبرت ان الاهتمام بالحيوانات هو نوع من العمل.

ثم وقف وغير الحديث:

- اعتقد اننا نستحق ان نشرب بعض المرطبات سأدخل المطبخ وأهيىء الشراب الموجود.

وبعد دقائق كان كل منهما يشرب نخب الآخر.

- ونخب العمة مارغريت، التي عرفت بقصتنا وأسهمت، بطريقتها في الذهاب لفترة خارج المنزل، كي نتمكن من حل مشكلتنا معاً.

- ونخب هربرت ايضا الذي لولا اضرامه الحريق لما وصلنا الى هذا التفاهم.

كانت ذراع غاريت تحيط بهولي وتغمرها بدفء وقوة وحنان. بدأ نور الفجر يضيء ذلك المكان وما ان بدأت الرؤية تنقشع تدريجياً حوالى الساعة السادسة صباحاً حتى سمع صوت جرافات آتية من بعيد. ونظر غاريت من النافذة قائلا:

- ها هي جرافات الثلج قادمة لانقاذنا، بل لانقاذي انا كي اتمكن من الذهاب الى منزلي. اذ أرفض البقاء في منزل واحد مع هولي تمبلتون، أطول من هذه المدة، بدون ان أحصل على ورقة زواج منها.

وبعد قليل التفت الى هولي مبتسماً ومؤكداً:

- أنا اعني ما أقول يا هرتي الصغيرة.

ولم تجب هولي لشدة فرحها فتابع غاريت قائلا:

- دعي المزاح جانباً. فأنا أحبك يا هولي، احبك اكثر مما تتصورين. ثمة أمور كثيرة علينا ان نتعلمها معاً وسوف نتعلمها. وسوف نتزوج اذ لا يمكنني ان أحيا بعيداً عنك.

كان وجهه الغجري قريباً من وجهها فاقتربت قليلا كي يلامس خدها خده، ثم قالت برقة ودلال:

- وأنا ايضا احبك يا غاريت. أين سنسكن بعد زواجنا؟

فبادرها على الفور:

- وهل من مكان آخر غير المنزل المجاور؟ تعرفين شيئاً؟ عيني على هربرت الأفغاني، فان لم يطالب به احد فسوف اقتنيه.

ـ آه، هذه فكرة رائعة، يا غاريت.

واختلط صوت ضحكهما بصوت الجرافة المقبلة على الطريق العام التي تمر من امام المنزل.